



جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الشر وكيفية النجاة منه في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية وصفية)

إعداد

محمد عبد الناصر حسن صومان

إشراف

أ. د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين (عام) بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2022م

الشر وكيفية النجاة منه في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية وصفية)

إعداد

محمد عبد الناصر حسن صومان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2022/2/6م، وأجيزت.

التوقيع	د. محسن سميح الخالدي
التوقيع	المشرف الرئيسي
التوقيع	د. يونس ياسين
التوقيع	الممتحن الخارجي
التوقيع	د. عامر جود الله
	الممتحن الداخلي

الإهداء

إلى والديّ العزيزين اللذين كابدا الحياة بصعابها وكدرها؛ كي يرشداني إلى ما فيه
صلاحي وتفوقي، أطال الله عمرهما في طاعته، وأحسن ختامهما.

إلى أعمامي وإخوتي الذين أعانوني في دروب حياتي.

إلى زوجتي الغالية، العزيزة على قلبي شريكة الدرب في السراء والضراء

إلى الغرباء في دينهم، في زمن عز فيه التقي الأمين.

إلى طلبة العلم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين صدحوا بالحق رغم المحن،
وقلة الصاحب والنصير.

إلى كل أسير جاهد ليعلو دينه في بقاع الأرض قاطبة.

إلى كل مسلم ومسلمة وضعوا نصرة دينهم نصب أعينهم.

إلى كل هؤلاء أقدم هذه الرسالة المتواضعة.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أمدني بالإرادة والعزيمة؛ للسير في دروب المتعلمين الطامحين لنيل أعلى درجات العلوم الشرعية، والراغبين في الوصول إلى المقامات الربانية، والصلاة والسلام على قدوتنا الرحمة المهداة للبشرية رسولنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يسعني إلا أن أقدم برياحين الشكر والامتنان **لوالدي الحبيبين** اللذين أمداني بطيب دعمهم المضمخ بحنان الأبوة والأمومة ودفئهما وطهارة دعواتهما المحصنة بيقين القلوب، وسلامة الصدور المجبولة بعطر الجبين وحناء العيون.

وأقدم **ريحانة شكري الثانية** لأساتذتي الكبار وفي مقدمتهم أستاذي ومشرفي وموجهي للخير الأستاذ الدكتور محسن سميح الخالدي حفظه الله.

وأقدم **الريحانة الثالثة** إلى فضيلة الاستاذين الكريمين اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة لإثرائها بتوجيهاتهم السديدة، وتصوبها بأرائهم الرشيدة
فضيلة الدكتور: عامر جود الله

وفضيلة الدكتور: يونس محمود صادق ياسين

جزاهما الله عني كل خير.

وإلى كل من ساهم في الوقوف إلى جانبي مساندًا وداعمًا ومشجعًا.

وريحانتي الرابعة أقدمها لشموعنا الأسرى الذين يحترقون؛ لينيروا لنا دروب العزة والحرية، أسأل الله أن يمن عليهم بأنوار الحرية، ونسائم العودة للأهل والدار والوطن.

وأقدم **ريحانتي الخامسة** لشهدائنا الذين أحيوا فينا روح التحدي والصمود على أرضنا بكرامة وشموخ، أسأل الله أن يتقبلهم في جنانه مع الثلة الأخيار والصحبة الأطهار.

حفظ الله أمتنا من الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن ورفع عنها الوباء والبلاء والمحن، وأعادها سيدة العالم بعدالتها ورحمتها وحكمتها وقوتها.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الشر وكيفية النجاة منه في القرآن الكريم

"دراسة تحليلية وصفية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: محمد عبد الناصر حسن صومان

التوقيع:

التاريخ: 2022/2/6

فهرس المحتويات

ج	الإهداء.....
د	الشكر والتقدير.....
هـ	الإقرار.....
و	فهرس المحتويات.....
ط	الملخص.....
1	مقدمة.....
9	الفصل الأول: مفهوم الشر ودلالة وروده في السياق القرآني.....
9	المبحث الأول: تعريف الشر في اللغة والاصطلاح.....
9	المطلب الأول: تعريف الشر في اللغة.....
10	المطلب الثاني: الشر في الاصطلاح.....
12	المبحث الثاني: مادة (شرر) والمعاني التي وردت عليها في السياق القرآني.....
12	المطلب الأول: عرض لمادة (شرر) في السياق القرآني:.....
14	المطلب الثاني: الملحوظات واللطائف العامة لورود مادة شرر في السياق القرآني:.....
23	المطلب الثالث: المعاني التي وردت عليها مادة (شرر) في القرآن الكريم:.....
27	المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالشر.....
33	الفصل الثاني: مصادر الشر وأنواعه.....
33	المبحث الأول: مصادر الشر.....
34	المطلب الأول: شيطان الجن (إبليس):.....
39	المطلب الثاني: النفس الآدمية:.....
43	المطلب الثالث: الجهل.....
48	المبحث الثاني: أنواع الشر.....
48	المطلب الأول: الكفر والشرك بالله:.....
54	المطلب الثاني: الطغيان:.....
58	المطلب الثالث: الحسد:.....
61	المطلب الرابع: السحر.....
66	المطلب الخامس: المبالغة في حب الدنيا.....
71	المطلب السادس: تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....

77	الفصل الثالث: كيفية النجاة من الشر
77	المبحث الأول: العلم بالشر
77	المطلب الأول: تعريف العلم
77	المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها العالم بالشر
82	المطلب الثالث: سُبُلُ تحصيل العلم
84	المبحث الثاني: تقوية الإيمان بالله سبحانه والاعتصام به
84	المطلب الأول: تعريف الإيمان
84	المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها المؤمن بالله سبحانه
88	المطلب الثالث: طرق تقوية الإيمان وترسيخه
90	المبحث الثالث، الاستعاذة بالله من الشر
90	المطلب الأول: تعريف الاستعاذة
90	المطلب الثاني: الشرور التي تُدفع بالاستعاذة
93	المبحث الرابع: الصبر
93	المطلب الأول: تعريف الصبر
93	المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها الصابر
98	المبحث الخامس: الدعاء
98	المطلب الأول: تعريف الدعاء
98	المطلب الثاني: الشرور التي يصرفها الدعاء
102	المبحث السادس: الوفاء بالعهود
102	المطلب الأول: تعريف الوفاء بالعهد
103	المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها من يفي بالعهد
107	المبحث السابع: تزكية النفس
107	المطلب الأول: تعريف التزكية
107	المطلب الثاني: الشرور التي تُصرف بتزكية النفس
108	المطلب الثالث: سُبُلُ تزكية النفس
110	المبحث الثامن: الصحبة الصالحة
110	المطلب الأول: تعريف الصحبة الصالحة
110	المطلب الثاني: الشرور التي تُصرف بالصحبة الصالحة
112	الفصل الرابع: أثر الشر على النفس والمجتمع
112	المبحث الأول: أثر الشر على النفس

المطلب الأول: الجزع والخوف:	112
المطلب الثاني: اليأس والقنوط:	113
المطلب الثالث: الاستعجال المذموم:	113
المبحث الثاني: أثر الشر على المجتمع:	115
المطلب الأول: أثر الشر في انتشار الفواحش بين أفراد المجتمع:	115
المطلب الثاني: أثر الشر في انتشار الكذب والافتراء في المجتمع:	115
المطلب الثالث: أثر الشر في ظهور العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع:	116
المطلب الرابع: الغدر الذي يؤدي إلى سفك الدماء:	116
الفصل الخامس: نماذج من أهل الشر:	118
المبحث الأول: أصل اليهود والشرور التي قاموا بها	118
المطلب الأول: أصل اليهود:	118
المطلب الثاني: الشرور التي قام بها اليهود:	118
المطلب الثالث: أسباب وقوع اليهود في الشر:	123
المبحث الثاني: المنافقون:	125
المطلب الأول: تعريف المنافقين:	125
المطلب الثاني: الشرور التي قام بها أهل النفاق:	125
المطلب الثالث: أسباب النفاق الذي أدى إلى كل هذه الشرور:	128
الفصل السادس: مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة:	130
المبحث الأول: مآل أهل الشر في الدنيا:	130
المطلب الأول: مآل أهل الشر في الدنيا:	130
المطلب الثاني: الحكمة من ذكر مآل أهل الشر في الدنيا:	133
المبحث الثاني: مآل أهل الشر في الآخرة:	135
المطلب الأول: مآل أهل الشر في الآخرة:	135
المطلب الثاني: الحكمة من تفصيل مآل أهل الشر في الآخرة:	137
الخاتمة:	138
قائمة المصادر والمراجع:	140
B.....Abstract	

الشر وكيفية النجاة منه في القرآن الكريم "دراسة تحليلية وصفية"

إعداد

محمد عبد الناصر حسن صومان

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

اشتملت هذه الدراسة على موضوع الشر وكيفية النجاة منه في القرآن الكريم، وهو موضوع ذو أهمية كبيرة وعظيمة؛ لما فيه من تحذير للمسلم من سلوك طريق الغي والخسران (طريق الشر)، والولوج في طرق الخير، فمعرفة الشر ومصادره وأنواعه، يرشد المسلم إلى سبل الوقاية التي من خلالها ينجو ويسلم من كل شر ومكروه.

وفي هذا البحث تم الاعتماد على عدة مناهج بحثية كالمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي، والاستقرائي، وقسم البحث إلى مقدمة وست فصول وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع حسب متطلبات البحث العلمي وأصوله.

وبينت هذه الدراسة المعنى اللغوي والاصطلاحي للشر، وبعض الإشارات والملحوظات من خلال تتبع ورود المصطلح في السياق القرآني، والألفاظ ذات الصلة بلفظ الشر.

وبينت الدراسة مصادر الشر، وأنواعه، ومن ثم كيفية النجاة من الشر من خلال ذكر أبرز المنجيات من الشر كالعلم بالشر وحقيقته والإيمان بالله.

ومن ثم جاء الحديث عن أثر الشر على النفس والمجتمع، وذكر نموذجين من نماذج الشر، وبيان مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث، ومن أهمها أن الجهل بالشر يوقع العبد في براثنه، وأن العلم بالشر طريق للنجاة منه، كما أن الكفر والشرك من أعظم الشرور التي قد يقع فيها المرء، كما أن الإيمان بالله والاعتصام به مسلك من أهم مسالك النجاة من الشر.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأبان لهم الخير وطريقه، وحذرهم من الشر ومسالكه، فالبشرى لمن كان في ربوع الخير ساعياً، والتعس لمن كان في برائن الشر عاملاً.

وإن الخير والشر في صراع دائم ما دامت السموات والأرض، والإنسان في ظل هذا الصراع لا بد له من سلوك أحد المسلكين للوصول لإحدى العاقبتين، إما خيراً فخير، وإما شراً فشر، ولكي يسلك النهج القويم، والدرب المنير، ويثبت على الطريق المستقيم، لا بد له من معرفة النهجين كليهما حتى لا يقع في طريق الغي والهلاك، فإن الشر له مسالكه ومداخله التي يعرف بها، والخير كذلك، وكما يكون المرء في معزل من الشر لا بد له من التمييز بينه وبين الخير، وإلا وقع في برائته، وأسهل الناس على الشيطان إسقاطاً في الشر؛ هم الذين يلتبس عليهم الفرق بين الخير والشر، والتمييز بين الخير والشر لا يكون إلا بعد تحر وعلم وطلب واجتهاد، ولنا في حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أسوة حسنة في ذلك، حيث يقول: "كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"⁽¹⁾.

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ، كتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث (7084) (1994)، وعند مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الإمامة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، (1475) (1475).

وكلما ازداد الإنسان علمًا بالخير والشر، مع السعي لتحقيق الخير واجتناب الشر، فإنه سيحصل المطلوب الذي سعى له.

وأكثر الناس حاجة لمعرفة الخير من الشر هم الدعاة والمصلحون بشكل خاص، وعوام المسلمين بشكل عام، فالدعاة إذا لم يعرفوا هذا فإنه سيؤدي إلى خلل في دعوتهم، وانعدام قدرتهم على إبصار الصواب من ضده، وباختلال طريقهم إلى بر الأمان؛ فضلاً عن إيصال الناس إليه.

وفي هذا البحث بيان لمعنى الشر، ومصادره، وطرق ظهوره، وكيفية النجاة منه، وأثره على النفس والمجتمع، وفيه بعض الأمثلة على أهل الشر وأنصاره، والتحذير من مآلهم ومصيرهم؛ حتى لا يقع الباحث عن الحق وأهله في براثن الشر وشراكه.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أولاً: الدراسات السابقة:

إن موضوع الشر من المواضيع التي لاقت اهتمامًا كبيرًا عند الباحثين، فكثر الحديث عنه، ولكن غلب على أكثرها اقتصار الموضوع في ثنايا الكتب، أو مواضيع جانبية، وقل من كتب فيه بشكل مستقل، ومن الدراسات التي اهتمت بدراسة الشر:

1- الخير والشر، لمحمد متولي الشعراوي⁽¹⁾.

جاء هذا الكتاب ليبين أن الشر والخير في هذه الدنيا ليس مطلقًا، وفيه بيان الحكمة من وجود الشر والخير في الدنيا، وأن الشر نتيجة اتباع الإنسان هواه وشيطانه، وغلب على هذا الكتاب جانب الوعظ والإرشاد.

2- مشكلة الشر ووجود الله، لسامي العامري⁽²⁾.

جاء هذا البحث ردًا على أعظم شبهة من شبه بعض الملاحدة في نفي وجود الله سبحانه، حيث إنهم يركزون على أن وجود الشر دليل على عدم وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى عدم اتصافه بالقدرة والرحمة والعلم، فهو لا يقدر على دفع الشر، والعلم به، وليس من صفته الرحمة بعباده.

3- مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، لعبد الحكيم يوسف الخليلي⁽³⁾.

وهذا البحث جاء ليبين آراء طائفة من طوائف الإسلام وهي المعتزلة، في أمر الشر من حيث تنزيه الله سبحانه وتعالى من أن ينسب الشر إليه.

(1) الشعراوي، محمد متولي، الخير والشر، أخبار اليوم.

(2) العامري، سامي، مشكلة الشر ووجود الله، الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، هذا الكتاب من سلسلة إصدارات المؤسسة العلمية الدعوية العالمية، مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان، برعاية مركز تكوين للأبحاث والدراسات.

(3) الخليلي، عبد الحكيم يوسف، مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، كلية الشريعة - جامعة قطر.

4- مصطلح الشر في القرآن الكريم دراسة موضوعية، لزينب الحزيم⁽¹⁾.

وهي رسالة ماجستير، لكنني لم أخط بالحصول على الأطروحة، إلا أنه يستفاد من عنوانها أنها تتعلق بمصطلح الشر، حيث تناولت الباحثة فيه الجانب الموضوعي للمصطلح القرآني للشر.

5- زعماء الشر في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية، لسميرة بنت محمد بن عبد الله بن جالية⁽²⁾.

لم أخط إلا على الملخص من هذه الرسالة، وقد تبين لي أن الرسالة قائمة على ذكر زعماء الشر كإبليس وغيره من البشر قديماً وحديثاً.

6- آيات الشر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، للدليمي، بشير حميد عبد⁽³⁾.

أيضاً هذه الرسالة لم أخط على أطروحتها، إلا أنه يستفاد من عنوانها أنها تتعلق بموضوع الشر في القرآن الكريم.

ما يميز هذه الدراسة:

التعريف بالشر وسياق وروده في القرآن الكريم، وذكر مصادره، وإبراز أنواعه، وكيفية النجاة منه، وأثره، ومآل أهله في الدارين؛ كي يكون المرء بمنجى منه.

ثانياً: أهمية هذه الدراسة:

1- بيان مفهوم الشر ومصادره وأنواعه على النفس والمجتمع، مما يساهم إلى معرفة كيفية النجاة منه.

(1) لم أستطع الوصول إلى مصدرها ومعلومات نشرها.

(2) سميرة، محمد بن عبد الله بن جالية، زعماء الشر في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية، كلية الآداب للبنات، 1424هـ.

(3) الدليمي، بشير حميد عبد، آيات الشر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، جامعة الأنبار - كلية العلوم الإسلامية، 2019م.

2- بيان أبرز آثار الشر على النفس والمجتمع.

3- ذكر نموذجين من نماذج الشر أحدهما: شر موجود لدى شريحة كبيرة من البشر، وهو النفاق،

والثاني: شر موجود لدى فئة محددة من البشر لهم سيطرة وهمينة، وهم اليهود.

4- بيان مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة، حتى يبذل المؤمن الغاية في الجهد لينجو من الشر،

والوقوع في برأته.

ثالثاً: سبب اختيار الدراسة:

1- أهمية الموضوع، حيث إنه يتحدث عن أحد جوانب الصراع في الدنيا القائم بين الخير والشر.

2- صلة الموضوع بالواقع حيث إن الشر ساد، وعمَّ وكثر أهله.

3- ما للشر من تأثير واضح على النفس والمجتمع.

4- نيل فرصة في المساهمة في الدراسات التي تتعلق بالقرآن الكريم، وبيان دورها في واقع حياتنا.

رابعاً: مشكلة الدراسة:

تظهر أبرز إشكاليات الدراسة من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة، ومنها:

1- ما مصادر الشر؟

2- ما أبرز الطرق التي ينفذ منها الشر إلى النفس والمجتمع؟

3- ما الطرق التي تمكنا من النجاة من الشر؟

4- ما أبرز آثار الشر على النفس والمجتمع؟

5- ما مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة؟

خامسًا: أهداف الدراسة:

الهدف من هذه الدراسة الوصول إلى جملة من الأهداف، وهي:

- 1- معرفة معنى الشر .
- 2- معرفة مصادر الشر .
- 3- الوقوف على أبرز الطرق التي يسيطر فيها الشر على النفس والمجتمع .
- 4- تجلية طرق النجاة من الشر والوقاية منه .
- 5- إبراز آثار الشر على النفس والمجتمع .
- 6- الوقوف على بعض النماذج التطبيقية لأهل الشر .
- 7- إظهار مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة .

سادسًا: منهجية البحث:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على عدة منهجيات بحثية، وهي على النحو الآتي:

- 1- المنهج الوصفي:
وذلك من خلال دراسة ظاهرة الشر دراسة واقعية، من حيث وصفه ووصف أثره وأهله ومآلهم والأسباب المؤدية إلى ذلك .

2- المنهج الاستنتاجي التحليلي:

وذلك من خلال محاولة استنباط الملاحظات التي تتعلق بالدراسة من خلال النصوص القرآنية، والإشارة إلى ما تحتويه من دلالات ولطائف؛ بهدف إعمالها في موضوع الدراسة، بصورة تليق بها .

3- المنهج الاستقرائي:

وذلك من خلال تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الشر في القرآن الكريم.

ويضاف إلى هذه المنهجية بعض الإجراءات وهي على النحو الآتي:

1- عزو الآيات القرآنية، وذلك بذكر السورة ورقم الآية في حاشية البحث، مع كتابتها بالخط العثماني

سواء كانت كاملة أم مجزأة.

2- الرجوع إلى أمات كتب التفسير، وكتب التفسير الحديثة عند تفسير الآيات الكريمة.

3- الرجوع للسنة النبوية الشريفة، مع تخريج الأحاديث من مصادرها، وذكر صحتها عند أهل العلم،

باستثناء أحاديث الصحيحين فاقصر على عزوهم فقط.

4- عزو الأقوال والنصوص إلى قائلها، مع توثيقها إلى المصدر الذي تم الاقتباس منه.

5- التوثيق المفصل عند إيراد المرجع لأول مرة، ومن ثم الاقتصار على اسم الشهرة للمؤلف واسم

كتابه، ورقم الجزء والصفحة إن تكرر الرجوع إليه.

6- استخدام كلمة (ينظر) عند التصرف بالنص بشكل كامل أو يسير.

7- وضع علامات الترقيم والتشكيل بما يناسب البحث.

8- تم تقسيم البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة، مع تلخيص أبرز النتائج والتوصيات، وذكر

فهرس المراجع والموضوعات.

وختامًا: فهذا ما استطعت أن أقدمه في هذه الدراسة المتواضعة، ومهما سعت جاهدًا فسيبقى النقص

والزلل واردا، وهذا من حكمة الله في عباده؛ لأن الكمال خاص في الله وحده، والحمد لله على ما

أعاني عليه من جوده وكرمه وفضله، وأرجوه في علاه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم،

وان يرزقني الصبر والثبات والأجر العظيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم وسلم على نبينا
محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والحمد لله رب العلمين.

الفصل الأول

مفهوم الشر ودلالة وروده في السياق القرآني

المبحث الأول: تعريف الشر في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: تعريف الشر في اللغة

قال ابن فارس: "الشَّيْنُ وَالرَّاءُ أَضْلُ وَاحِدٌ يُدْلُّ عَلَى الْإِنْتِشَارِ وَالتَّطَايُرِ، وَخِلَافَ الْخَيْرِ"⁽¹⁾، ويأتي الشرُّ بمعنى: "السُّوءُ وَالْفِعْلُ لِلرَّجُلِ الشَّرِيرِ، وَالْمُصْدَرُ الشَّرَارَةُ، وَالْفِعْلُ شَرَّ يَشُرُّ، يَشُرُّ، وَقَوْمٌ أَشْرَارٌ: ضِدُّ الْأَخْيَارِ"⁽²⁾.

وشرَّة: عابَهُ، والشرُّ: المَكْرُوهُ⁽³⁾ "وَالْفَسَادُ وَالظُّلْمُ"⁽⁴⁾ والعيب، وشرشرة الشيء: تشقيقه وتقطيعه⁽⁵⁾، "وَالشَّرَارُ: مَا يَتَطَايَرُ مِنَ النَّارِ"⁽⁶⁾، "والشرَّة: الحدة، يُقَالُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ الْغَضَبِ"⁽⁷⁾.

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، (180\3).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، (400\4).

(3) ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ-2005م، (415\1).

(4) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس (ت: 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت (309\1).

(5) ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، (695\2-696).

(6) الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيبخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ-1999م، (163\1).

(7) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (478\1).

فالشر -بالفتح- يعبر عن السوء، والمعابة، والضّر، وما يكرهه الإنسان ويبغضه، وهذا كله من الحدة في المعنى الأصلي، ومعنى الانتشار متحقق أيضًا؛ لأن فيه إصابة آخرين وتعدّ عليهم، وهذا امتداد وانتشار⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الشر في الاصطلاح:

فالشر: هو "الذي يرغب عنه الكلّ، كما أنّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلّ"⁽²⁾.

وعرفه الجرجاني بانه: "عبارة عن عدم ملاءمة الشيء الطبع"⁽³⁾.

والشر عند ابن القيم لا يطلق إلا على شيئين هما: الألم، أو ما يفضي إليه⁽⁴⁾.

فالشر اسم جامع لكل خصلة مذمومة يعاب عليها عند أصحاب الطباع والفطر السليمة.

ومن خلال تتبع التعريف اللغوي والاصطلاحي للشر يظهر مدى التقارب بينهما، ومما يستفاد منهما:

1. أن الشر أفاد عدم ملاءمة الشيء الطبع، وكل ما يعاب وينم ويكره ولا يرغب فيه، عند أصحاب

الفطر السليمة والعقول الراجحة.

(1) ينظر: جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب -القاهرة، ط1، 2010م، (2/1117-1119).

(2) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: 502هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق -بيروت، ط1، 1412هـ، (ص:448).

(3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، (ص:127)، والمناوي، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: 1031هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب عبد الخالق ثروت -القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م، (ص:203).

(4) ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (2/205).

2. الانتشار والتطايير: فالشر فيه إصابة للآخرين وتعدّ عليهم، فلا يقتصر على أشخاص بأعينهم

ولا مكان أو زمان معين، فالشر مثل الشرر التي تتطايير من النار فإنها إن لم تدرك أصبحت

ناراً ملتهبة يصل نارها إلى غيرها ويصعب إخمادها.

3. التشقق والتقطع: فالشر ضد التلاؤم والاتفاق والألفة؛ فالمجتمع الذي يسوده الشر مجتمع مقطّع

يملاً أفراده الشقاق والتفرق.

4. أن الشر أفاد انتشار الفساد والسوء والضرر في المجتمع وانعدام الخير والصلاح.

5. أفاد الحدة؛ فالشر لا يأتي على المجتمع وأهله إلا بالعسر والضيق.

فإن كان الشر يدل على هذه الأمور فلا بد للإنسان من علم الشر وإدراكه ومعرفة أهله ومسالكتهم؛

حتى لا يسود الشر في أفعاله وأقواله، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالمجتمع، فالمجتمع الذي لا يدرك

خطورة الشر فإنه سيسري فيه سريان النار في الهشيم.

المبحث الثاني: مادة (شرر) والمعاني التي وردت عليها في السياق القرآني

المطلب الأول: عرض لمادة (شرر) في السياق القرآني:

الرقم	المادة	السورة	الآية	رقمها
1	شَرُّ	البقرة	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦)	216
2	شَرُّ	آل عمران	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٨٠)	180
3	شَرُّ	المائدة	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَلِخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (١٠٠)	60
4	شَرَّ	الأنفال	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٢)	22
5	شَرَّ	الأنفال	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	55
6	شَرُّ	يوسف	﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)	77
7	شَرُّ	مريم	﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ (٧٥)	75
8	شَرُّ	الفرقان	﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢٥)	34
9	شَرَّ	الإنسان	﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١)	11
10	شَرُّ	البينة	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦)	6
11	شَرِّ	الفلق	﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (١٠)	2

12	شَرِّ	الفلق	﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾	3
13	شَرِّ	الفلق	﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾	4
14	شَرِّ	الفلق	﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	5
15	شَرِّ	الناس	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	4
16	الشَّرِّ	يونس	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	11
17	الشَّرِّ	الإسراء	﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾	83
18	الشَّرِّ	فصلت	﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَوُوطٌ﴾	49
19	الشَّرِّ	فصلت	﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾	51
20	الشَّرِّ	المعارج	﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾	20
21	لَشَرِّ	ص	﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيَتِ لَشَرَّ مَقَابٍ﴾	55
22	بِشَرِّ	المائدة	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	60
23	بِشَرِّ	الحج	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرُ﴾	72
24	شَرًّا	النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	11
25	شَرًّا	الزلزلة	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	8
26	بِالشَّرِّ	الإسراء	﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	11
27	بِالشَّرِّ	الأنبياء	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	35
28	شَرُّهُ	الإنسان	﴿يُؤْمِنُ بِالْآخِرِ وَيُحَافِظُ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾	7

29	أَشْرُ الجن ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدَ مِنِّي فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ 10
30	الْأَشْرَارِ ص ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ 62

المطلب الثاني: الملحوظات واللطائف العامة لورود مادة شرر في السياق القرآني:

أولاً: وردت مادة شرر ثلاثون مرة في القرآن الكريم⁽¹⁾، في إحدى وعشرين سورة، منها ثلاث عشرة سورة مكية، وثمان سور مدنية.

ثانياً: جاء لفظ الشر بصيغة الإفراد والجمع، فأما بصيغة الإفراد فذكر تسعاً وعشرين مرة، ولم يذكر إلا مرة واحدة بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِّنَ

الْأَشْرَارِ﴾ [ص:62]، وجاءت جميعها لتدل على معنى الشر الذي لا يلائم الطباع السليمة.

ثالثاً: لم يرد لفظ الشر بصيغة الفعل (المضارع أو الماضي) الذي يفيد التجدد، وإنما ورد بصيغة الاسم، حيث أن الاسم يفيد الثبوت والاستمرار، قال عبد القاهر الجرجاني في الدلائل: "فالاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فإنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"⁽²⁾.

وأمر الشر مستمر في الدنيا، فهو في صراع مع الخير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما الشر في الآخرة فهو دائم مستمر لأهل الكفر والضلال كعقاب لهم حيث أن مصيرهم النار والتي هي بنس المال وبنس المصير.

رابعاً: لم يرد الشر بصيغة الأمر، فالله سبحانه وتعالى لم يأمر به، بل نهى عنه، وزجر، وهدد فاعله ومناصره بعقاب من جنسه.

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، 1364هـ، (ص378).

(2) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط1، (ص:181).

خامسا: ورد لفظ الشر ثمان مرات معرفاً بأداة التعريف، واثنين وعشرين مرة نكرة، ولكل من التعريف والتكثير دلائل ولطائف، "فالمعرفة ما دل على شيء بعينه"⁽¹⁾، "كما أن التعريف بحد ذاته يفيد توكيذاً للشيء المعروف ويزيده توضيحاً"⁽²⁾، "والمعرفة ما يشار به إلى معهود بين المتكلم وبين المخاطب"⁽³⁾. والآيات التي ورد لفظ الشر فيها معرفاً: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّ﴾ (الإسراء، 83)، وقوله: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْثُ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: 49)، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: 51)، وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (المعارج: 20)، فجاء لفظ الشر معرفاً في هذه الآيات ليدل على كل مكروه، وضر، وشدة، وفقر، وبلاء يصيبهم في الدنيا يقابلونه باليأس والجزع والقنوط⁽⁴⁾.

وورد لفظ الشر معرفاً أيضاً في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: 35) قال ابن كثير: فالله سبحانه وتعالى يختبر العباد بالمصائب تارة، وبالنعيم أخرى، لينظر الشاكر من الكافر، والصابر من القانط⁽⁵⁾، فأوضح الله سبحانه وتعالى الحكمة في ذلك، وهو الاختبار.

(1) الزمكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري (ت: 651هـ) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني - بغداد، ط1، 1974، (ص133).

(2) ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية للأساليب البلاغية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت، ط1، 1984، (ص119).

(3) الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات - الكويت، ط1، 1980م، (ص150).

(4) ينظر: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ) تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ-1997م، (2/369-272).

(5) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م، (5/342).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (يونس: 11)

وقوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الاسراء: 11).

يستفاد منه أن الإنسان يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، كما يدعو لهم بالخير، فهو يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله، لا يتأنى فيه تأن المتبصر⁽¹⁾.

فهذه الآيات جاء فيها لفظ الشر معرّفًا، والمراد بالشر هنا ما كان فيه أضرار دنيوية تشمل الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين⁽²⁾ قد علموا ضرورها؛ لمعاينتهم لها، وأما تنكير لفظ الشر في الحسد والسحر مع أنها أضرار دنيوية إلا أنها مخفية مجهولة من حيث ضرورها ومن حيث ماهيتها وكيفيةها عند أغلب الناس، ومن جانب آخر بيان شدة وهول خطرهما ومدى سوءهما.

فتعريف لفظ الشر جاء ليشمل كل ما يصيب الإنسان من فقر أو شدة أو ضرر أو مرض، أو ما يدعو به الإنسان غضبًا على نفسه وماله وولده يكون معروفًا لديه، فناسب الإتيان بلفظ الشر معرّفًا غير منكر.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص: 62)، وهنا خطاب صناديد قريش بعضهم لبعض وهم في النار، حيث قالوا: ما لنا لا نرى رجالًا كُنَّا نعدّهم في الدنيا من الأشرار، وهم يعنون بذلك فقراء المؤمنين أمثال عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسلمان الفارسي، ممن كانوا يسخرون منهم⁽³⁾.

(1) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ، (651/2).

(2) ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ، (143/22).

(3) ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ، (75/4).

فتعريف لفظ الأشرار أفاد معرفة كل من المخاطب والمتكلم، فالمعرفة كما يقول ابن عثيمين: "هي ما كان معروفاً"⁽¹⁾، وقال الزمالكاني: "والمعرفة ما كان لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه"⁽²⁾ فهم يقصدون بكلامهم أناساً معروفين لديهم، والمعرفة ما يشار به إلى معهود بين المتكلم وبين المخاطب، فمراد الكفار من الخطاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كانوا من الضعفاء والفقراء.

وإن كان لفظ الأشرار لا ينطبق على صحابة رسول الله بل على صناديد قريش، ولكن من جهة نظرهم أنزلوهم منزلة الأشرار، وعُرف لفظ الشر لمعرفتهم بذوات وأعيان من وصفوهم بالشر، وسبب وصفهم لذلك؛ لمخالفتهم لهم في المعتقد الذي سيكشف زيف دينهم ومعبوداتهم.

أما التنكير فكان عدد الآيات التي جاء الشر فيها نكرة اثنتين وعشرين آية، وللتنكير دلالة غير ما نراه في التعريف، يقول الزمالكاني: "وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليك، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق، خصوصاً في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد"⁽³⁾.

فالتنكير قد يفيد: الأفراد، والنوعية، والتعظيم، والتفخيم، والتحقير، والتكثير، والتقليل، والعموم⁽⁴⁾.

ويعلل الزمالكاني سبب ذلك فيقول: "وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة متكررة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى

(1) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ) شرح ألفية ابن مالك، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آلياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس -70 درساً] (3/9).

(2) الزملاكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، (ص133).

(3) المرجع السابق (ص133).

(4) ينظر: الرفاعي، أساليب بلاغية، (ص157).

غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه⁽¹⁾.

والآيات التي جاءت فيها مادة شرر نكرة أفادت عدة أمور، وهي:

الأمر الأول: التعظيم والتهويل والمبالغة والتشديد في الوعد والوعيد، ومن ذلك:

1. الحديث عن أهوال يوم القيامة ومكان الكافرين ومصيرهم، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان: 11)، وقوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ

مَآبٍ﴾ (ص: 55)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: 34) وغيرها من الآيات، قال ابن كثير في تفسيره: "قال تعالى

مُخْبِرًا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم، في أسوأ الحالات وأقبح

الصفات"⁽²⁾، ووصف السعدي جهنم أنها شر مرجع ومنقلب؛ فجَهَنَّم جمع فيها كل عذاب، واشتد

حرها، وانتهى قرها، فهم يُعَذَّبُونَ فيها عذابا يُحِيطُ بهم من كل وجه، لهم من فوقهم ظلل من

النار، ومن تحتهم ظلل⁽³⁾.

فالتذكير جاء في هذه المواضع للإشارة إلى عظمة وشدة الوعد والوعيد الذي ينتظرهم يوم القيامة من

عقاب وعذاب، فجاء بذكر مصيرهم بتذكير لفظ الشر حتى تذهب العقول بفكرها كل مذهب؛ لما في

التنكير من إبهام يفسح المجال ليتخيل الفكر ما يتخيل من عظمة وشدة، هذا المآل والمصير الذي

ينتظرهم، والتذكير قد يفيد الكمال⁽⁴⁾، والشر مكتمل في النار، فهي شر محض.

(1) الزمكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، (ص133).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (110/6).

(3) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن

بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، (ص: 715).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (137/16).

2- الحديث عن ترك الجهاد والبخل، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة: 216) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ (آل عمران: 180)، فجاء لفظ الشر منكراً في ترك الجهاد

والبخل؛ لبيان أن الإنسان قد يظن بشيء خيراً وحقيقته شر محض والعكس صحيح فناسب

التنكير ليفيد خطورة وعظمة ترك الجهاد والبخل، وأن الإنسان قد يجهل حقائق الأمور.

"وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس؛ لما فيها من المشقة أنها هي

خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحبها النفوس؛ لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا

شك.

وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر؛ لأنه يعقب الخذلان، وتسلط الأعداء على

الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب⁽¹⁾.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بالبخل وترك الإنفاق من فضل الله فهم يظنون أنهم ببخلهم وإمساكهم مما

أحسن الله عليهم، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك، هو خير لهم، وفي الحقيقة هو شر لهم، في

دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم⁽²⁾.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 96).

(2) ينظر: المرجع السابق (ص: 158).

فلفظ الشر جاء منكراً في هذه المواضع؛ ليفيد إبهام السامع وعدم علمه بحقيقة هذه الأمور وما يترتب عليها من الشرور العظيمة التي في ظاهرها الخير.

3- الاستعاذة من شرور الخلق، ومنه الاستعاذة من شر الليل إذا عمّ بظلامه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾ (الفلق: 3) أي: ومن شر الليل إذا دخل وغمر كل شيء بظلامه، والليل إذا كان على تلك الحال كان مخوفاً باعثاً على الرهبة، فهو ستار يخفي في ظلامه ذوو الإجرام إذا قصدوك بالأذى، كما أنه عون لأعدائك عليك⁽¹⁾.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝﴾ (الفلق: 4) قال القطان: "ومن شر كل من يسعى بين الناس بالإفساد، ومنهم تلك السواجر اللاتي ينفثن في العقد لضرر عباد الله، وليفرقن بين المرء وزوجه"⁽²⁾.

والاستعاذة من شر الحسد والحاسدين: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ (الفلق: 5) "والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده"⁽³⁾.

فالاستعاذة في سورة الفلق ابتدأت بالعام لتفيد أن الشر متنوع متعدد ثم خصصت في شر معين ليفيد أن الشر المخصص هو أعظم هذه الشرور، وهن ما كان في الليل من انتشار الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية، ومن شر الساحرات والحساد فإن في ذلك إشارة إلى عظمة شرور هذه الأصناف من الخلق بشكل خاص.

(1) ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م، (267\30).

(2) القطان، إبراهيم (ت: 1404هـ)، تيسير التفسير (459/3).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 937).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ شَرُّ الْوَسْوَيسِ الْخَنَّاسِ﴾ (الناس:4) قال السعدي في تفسيره: "فهذه الآية مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فَيُحَسِّنُ لهم الشر، ويريهـم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهـم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس"⁽¹⁾.

فوسوسته فيها شر عظيم خطير خفي يستدرج بها الإنسان من حيث لا يعلم، وغايته من وسوسته إدخاله النار، فلازم التكرير لبيان ذلك.

الأمر الثاني: وقد يدل تكرير لفظ الشر على التكرير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور:11) قال الطبري: "لا تظنوا ما جاؤوا به من الإفك شراً لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به، ويُظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً"⁽²⁾.

فدل التكرير هنا على نفي وجود القليل من الشر في حادثة الإفك، وأن ما قُدِّرَ في هذه الحادثة لم يأت إلا بخير مطلق.

الأمر الثالث: وقد يدل تكرير الشر على العموم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:8) فهذه الآية جاء فيها الشر منكراً ليفيد أن كل ما يعملُه الإنسان من الشر قليلاً أو كثيراً فإنه سيحاسب عليه، قال السعدي: "وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:937).

(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر (ت: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، (116\19).

الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا

بَعِيدًا﴾ (آل عمران:30)، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (الكهف:49)، وهذه الآية

فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق:2) قال ابن القيم: "فهو تعم شر كل مخلوق فيه شر،

وكل شر في الدنيا والآخرة، وشر شياطين الإنس والجن وشر السباع والبهائم وشر النار والهواء وغير

ذلك"⁽²⁾.

فجاء لفظ الشر منكرًا ليدل على جميع الشرور التي يفعلها الخلق بشكل عام حيث أن شرور الخلق

متنوعة كثيرة فناسب التنكير.

الأمر الرابع: وقد يفيد التنكير في لفظ الشر على الذم والتحقير: وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ

الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال:22) وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ

الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:6).

"والمراد بالدواب معناه الحقيقي، وظاهر أن الدابة الصماء البكماء أخس الدواب، عند الله قيد أريد

به زيادة تحقيق كونهم، أشر الدواب بأن ذلك مقرر في علم الله، وليس مجرد اصطلاح ادعائي، أي

هذه هي الحقيقة في تفاضل الأنواع لا في تسامح العرف والاصطلاح، فالعرف يعد الإنسان أكمل

من البهائم، والحقيقة تُفَصِّلُ حالات الإنسان، فالإنسان المنتفع بمواهبه فيما يبلغه إلى الكمال هو

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص:932).

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد (215/2).

بحق أفضل من العجم، والإنسان الذي دلى بنفسه إلى حضيض تعطيل انتفاعه بمواهبه السامية يصير أخط من العجاوات⁽¹⁾.

فجاء بلفظ الشر مُنكَرًا كي يشير إلى أنهم بلغوا من الذم والقبح والسوء والفساد ما لم يبلغه شيء آخر من خلق الله.

المطلب الثالث: المعاني التي وردت عليها مادة (شرر) في القرآن الكريم:

جاءت مادة شرر في القرآن الكريم لتدل على معنى: السوء والمكروه والضرر، وقد بين الله سبحانه في كتابه ذلك حيث أن الإنسان إما أن يدعو على نفسه بالسوء والضرر، أو أن يقع عليه السوء والمكروه من باب الابتلاء والاختبار، أو عقابًا من الله سبحانه؛ بسبب الشرور التي اقترفها، فمثال دعاء الإنسان على نفسه وولده وماله وأهله وكل نعمة أنعم الله بها عليه بالسوء والهلاك، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (يونس: 11)، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11) فالمراد بالشر هنا المكروه وزوال النعم⁽²⁾، فالإنسان إذا غضب دعا على نفسه وولده وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له كقوله اللهم أهلكه، اللهم لا تبارك له فيه والعنه⁽³⁾، فهو يلعن نفسه وأهله وولده وماله في وقت الضجر⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» دار التونسية للنشر - تونس، 1984، (3069).

(2) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن (369/2).

(3) ينظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت: 427هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: صلاح باعثمان، وحسن الغزالي، وزيد مهارش، وأمين باشه، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ - 2015م، (122/5).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (304/20).

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: 83)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ

الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: 49)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

عَرِضٍ﴾ (فصلت: 51)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (المعارج: 20)، وقوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: 35) فالشر هنا يراد به كل سوء يمس الإنسان وشدة تصيبه⁽¹⁾ وضرر

يلحق به⁽²⁾، كالفقر والسقم⁽³⁾، فالشر في هذه الآيات يشمل جميع المضار الدنيوية من الفقر والآلام

وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين في هذه الحياة الدنيا⁽⁴⁾.

وقد يكون تسمية يطلقها المخالف في المعتقد على من يخالفه، ولكنها لا تخرج عن معنى السوء ومن

ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص: 62) فهذا مسمى أطلقه

الكفار وهم في النار على فقراء المسلمين لأنهم يرونهم أرذل لا خير فيهم ولا جدوى، أو أنهم كانوا

على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً⁽⁵⁾، بمعنى أسوأ الناس؛ لأنهم يدعون إلى ترك معتقداتهم مع

نقدهم لها.

وكذلك فيما يتعلق بالكفار فلفظ الشر جاء في حقهم بمعنى السوء، حيث وصفهم بأنهم أخبث وأرذل

وأسوأ الخليفة، لأنهم أهملوا إصلاح أنفسهم، وفرطوا في حوائجهم ومآربهم، وهذا نار لأرواحهم حين

(1) ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، (103\7).

(2) ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: 468هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ، (ص: 958).

(3) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان (269\3).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (143\22).

(5) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (405\26).

ينادى عليهم به ⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: 22)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: 55)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: 6)، بل أن أهل الكفر على مراتب في شرهم وخبثهم فبقدر كفرهم بالله يزداد شرهم وسوؤهم قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 60) والمراد بالشر هنا السوء، المتمثل في كفر اليهود، وسوئهم وشرهم على درجات متفاوتة، وذلك بمقدار كفرهم، فكفر أجدادهم الذين لعنوا وغضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعباد الطاغوت أعظم من كفر أحفادهم الذين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلافهم أكثر شراً ومكاناً من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة ⁽²⁾.

وفي الحديث عن النار التي وصفت بالشر المطلق، والمآل العظيم، والمصير المهين، جاء معنى الشر أيضاً بمعنى السوء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحج: 72) جاء لفظ الشر هنا بمعنى أسوأ عقاب يقع على المشركين العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً، الذين يحاولون الكيد والبطش وبسط الأيدي والألسن بالسوء على المؤمنين الذين يتلون آيات الله الواضحات البينات ذوات الحجج والبراهين، حيث يعتريهم الغيظ الكامن في نفوسهم عند سماعهم آيات القرآن، فيخبرهم الله سبحانه بأن لهم شراً من هذا الغيظ

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (1962).

(2) ينظر: السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (3394).

والعذاب، ألا وهو النار يوم القيامة، فهذا الغيظ الكامن في نفوسهم ليس بشيء إذا قيس بما سيلاقونه من العذاب يوم القيامة، عندما يلقون في النار التي عذابها أشق وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، ومما تتالون منهم إن نلتهم بإرادتكم واختياركم⁽¹⁾.

وإما أن يأتي الشر بمعنى سوء العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ مِنَّا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن:10) فالسواء لم تحرس ويمنع الجن من استراق السمع فيها إلا لأحد أمرين: أحدهما العذاب الذي يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة، وهو المقصود بلفظ أشر أريد، وإما أن يبعث الله نبي، وهو المراد برشدًا⁽²⁾.

وإما أن يأتي معنى الشر ليشمل سوء المنقلب والعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ (مريم:75) حتى يروا ما يوعدون إما العذاب في الدنيا بنصر المؤمنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والأسر، وإما أن تقوم الساعة فيصيرون إلى النار، فحينئذ تنكشف الحقائق ويعلمون أنهم شر الناس مكانًا وأضعف جندًا وهذا رد لقولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (مريم:73)⁽³⁾.

فلفظ الشر في جميع الآيات لم يخرج عن معنى السوء، والضرر، والمكروه، وبهذا لم يخرج المعنى عن المعنى اللغوي للشر.

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (143\17).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (99\29).

(3) ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م، (144\11).

المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالشر

جاءت ألفاظ ذات صلة بمصطلح الشر في الاستعمال العربي، وقد استعمل القرآن الكريم بعض هذه المعاني التي سأذكرها، مع بيان أقوال بعض أهل اللغة، أو التفسير فيها:

1- **الفواحش**، والفواحش في اللغة: "الْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ الْقَبِيحُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَكُلُّ خَصْلَةٍ

قَبِيحَةٍ، فَهِيَ فَاحِشَةٌ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ"⁽¹⁾، "وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْقَدْرِ"⁽²⁾.

الفحشاء في الاصطلاح: "هو ما ينفر عنه الطبع السليم، ويستنقصه العقل المستقيم"⁽³⁾.

ويقول السعدي في تفسيره عن الفحشاء ضارباً لها بعض الأمثلة: "هي كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر، كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش"⁽⁴⁾.

وبهذا تكون الصلة بين الفواحش والشر صلة قريبة، حيث أن كلا منهما لا ترغب فيه الفطر السليمة والطباع الحسنة، ولا يرغب فيهما إلا من كان منكس الفطرة سيء الطباع معوج العقل.

ولهذا نجد بعض أهل التفسير ينسبون الفواحش إلى أهل الشر والفساد، قال الماتريدي في تفسيره: "و(الْفَحْشَاءُ) ما يكون من أهل الفساد والشرور، وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم"⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب (325/6).

(2) المرجع السابق (326/6).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص:165).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص:447).

(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة (560/6).

ويذكر القرطبي في تفسيره قول ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90)، أنه قال فيها: "هذه أجمع آية في القرآن لخير يُمتثل، وشر يُجتنب" (1).

فهذه الآية ذكرت أنواعًا للشر وفي مقدمتها الفحشاء، حيث أن بينهما صلة إلا أن الفحشاء للشر كالخاص للعام.

2. الفساد: الفساد: "نقيض الصلاح" (2)، "وعاث في الأرض فسادًا: أفسد، أحدث فيها أضرارًا أو خرابًا، وسلوك أو عادات شريرة أو خبيثة" (3).

فهو يطلق على سلوك أناس اتصفوا بالشر في أعمالهم، ومن ذلك ما اتصف به قوم لوط في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت: 30)، فهذه الآية دعاء لوط على قومه حيث وصفهم بالمفسدين وأنهم شرار الخلق قال الجزائري في ذلك: "بعد أن أعياه أمرهم لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض" (4).

فقد كانوا أشرارًا يقطعون الطريق على أهله، ليس في وجوههم حياء، فلا يستقبحون قبيحًا، ولا يرغبون في حسن، وكانوا يتركون النساء ويأتون الذكران من الناس، ويعلنون ذلك ولا يرون فيه سوء (5).

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (165/10).

(2) ابن منظور، لسان العرب (530/2).

(3) أحمد مختار، عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م، (باب: فسد) (3771).

(4) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ-2003م، (128/4).

(5) ينظر: القطان، تيسير التفسير (69/3).

3. السوء: والسوء: الفجور والمنكر، ساء الشيء يسوء سوءاً، فهو سيئ، إذا قبُح، وأساء إليه: نقيض

أحسن إليه، والسوء: اسم جامع للآفات والداء⁽¹⁾.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (التوبة: 98) "أي الهزيمة والشر"⁽²⁾، وقال القطان

في تفسيره: "فعلهم تدور دوائر الشر لا يفلتون منها"⁽³⁾.

فيكون معنى السوء: "عيب أو نقص، قُبِح أو فساد أو مرض" يخالط ظاهر الشيء أو باطنه⁽⁴⁾.

فالسوء اسم جامع للآفات والداء، وكل قُبِح وعيب ونقص، وما كان ذلك صفته فإن الفطر والطباع

تنفر منه وبهذا يجتمع مع الشر من حيث معانيه.

4. الفسوق: الفسق: الترك لأمر الله، وكذلك الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه⁽⁵⁾،

وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور⁽⁶⁾، قال الجزائري في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ

سَوْءٍ فَاسَقَيْنَ﴾ (الأنبياء: 74)، "أي خارجين عن الاعتدال إلى الغلو والإسراف في الشر

والفساد"⁽⁷⁾.

فمن اتصف بترك أمر الله والميل إلى المعصية والخروج عن الاستقامة إلى الضلال والجور أطلق

عليه فاسق وهذه الصفات مخالفة للخير والصلاح وما كان ذلك وصفه فإنه يدخل في الشر حيث

(1) ابن منظور، لسان العرب (327\7).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (265\16).

(3) القطان، تيسير التفسير (248\3).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (937\2).

(5) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم

السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (82\5).

(6) ابن منظور، لسان العرب (308\10).

(7) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير (10\4).

أن إبليس فسق عن أمر الله بخروجه عن طاعته، وإبليس يعتبر رأساً من رؤوس الشر لما اتصف بصفات السوء والفسق عن أمر الله تعالى.

5. المصيبة: وهي الأمر المكروه ينزل بالإنسان⁽¹⁾، وكل ما يؤذي الإنسان في نفسه أو ماله أو أهله فهي المصيبة⁽²⁾.

فكلمة (مصيبة) لم تستعمل في القرآن إلا في التعبير عما يعده الإنسان شراً⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ (الأعراف: 131)، "وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر؛ ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم"⁽⁴⁾.

المصيبة: ما لا يلائم الطبع، كالموت ونحوه⁽⁵⁾، وبهذا يكون كل من الشر والمصيبة ما كان غير ملائم للطبع.

6. والضرر: "النقصان يدخل في الشيء"⁽⁶⁾، "والقحط، والشدة، وسوء الحال"⁽⁷⁾.

ويقول ابن منظور: "فَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ سُوءِ حَالٍ وَفَقْرٍ أَوْ شِدَّةٍ فِي بَدَنِ فَهُوَ ضَرٌّ، وَمَا كَانَ ضِدًّا لِلنَّفْعِ فَهُوَ ضَرٌّ، الضَّرُّ والضَّرُّ لُغَتَانِ: ضِدُّ النَّفْعِ"⁽⁸⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب (536\1).

(2) القطان، تيسير التفسير (82\1).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (1187\3).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (362\2).

(5) الجرجاني، التعريفات (ص: 217).

(6) الفراهيدي، العين (7\7).

(7) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (428\1).

(8) ابن منظور، لسان العرب (482\4).

أما اصطلاحاً: الضُّرُّ: "سوءُ الحال، إمّا في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإمّا في بدنه لعدم جراحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه"⁽¹⁾.

وهذه الأحوال والصفات مما تنفر منها الطباع ولا تستسيغها، والشر مما تنفر منه الطباع أيضاً وبهذا تكون الصلة قريبة بين الضر والشر؛ ولهذا نجد بعض المفسرين يفسرون الشر بالضر، كتفسير الجزائري للفظ الشر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَلْسَرَّ أَسْتَعْبَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (يونس: 11)، فقال: "الشر: كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد"⁽²⁾.

أو يقرنون الشر مع الضر في الحديث عما يسوء ولا يجلب منفعة ومن ذلك: تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ: 22).

فالله سبحانه يطلب من نبيه أن يخاطب مشركي قومه، بأن يدعو الذين يعبدون من دون الله لكي يستجيبوا لهم، ثم الله سبحانه يبين بأنهم لا يملكون لهم مثقال ذرة من خير أو شر، أو نفع أو ضرر في السماوات ولا في الأرض، وما لهم في هذين الخلقين من شركة ولا ملك يشاركونه مع الله الذي خلق الخلق وبيده ملكهم⁽³⁾.

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن (ص: 503).

(2) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (452/2).

(3) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (579/3)، وينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تحقيق: يوسف علي بديوي ومحبي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م (61/3).

فنفي عنهم الشر والضرر، وجعلهما قرينين، كما نفى الخير وقرنه بالنفع الذي هو ضد الضرر كما الخير ضد الشر.

7. الغي: الضلال والخيبة، والفساد، والتغاوي: التجمع والتعاون على الشر⁽¹⁾ وكل شر عند العرب فهو غي وكل خير فهو رشاد⁽²⁾.

قال الجزائري في قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف:202) وهنا ما يقوم به الشياطين بعضهم لبعض من الغي الذي هو الشر والفساد⁽³⁾.

وجميع هذه الألفاظ هي نتائج وآثار للشر، تدل عليه.

(1) ابن منظور، لسان العرب (140\15-141).

(2) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص: 663).

(3) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (279\2).

الفصل الثاني

مصادر الشر وأنواعه

المبحث الأول: مصادر الشر

تمهيد:

للشر مصادر، عليها يعتمد ومنها ينبع وينبثق، وعلى رأسها: شيطان الجنّ، والنفس الآدمية، والجهل، فدليل شيطان الجنّ والنفس الآدمية قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾ (الناس: 4-6)، فالوسواس قد يكون من الجنّة، وهم: المتسترون عن أبصار الخلق وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27)، وقد يكون من الناس ويفعل فعل الجنّة وأكثر؛ لأنّ وسوسة الناس بعضهم لبعض مشاهدة بمثابة الناصحين فإذا قبل منه زاد في الوسوسة، وإذا كره أمسك عنه وجاءه من طريق آخر⁽¹⁾.

ومن الأدلة أيضاً ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه بأن يداوم على الاستعاذة من شر النفس ومن الشيطان، قال له: "يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرُهُ إِلَى مُسْلِمٍ"⁽²⁾.

(1) ينظر: العاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي (ت: 1398هـ) بيان المعاني، مطبعة الترقّي - دمشق، ط1، 1382هـ - 1965م (1841).

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن شؤرة بن موسى بن الضحاك، (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ - 1975م، أبواب: الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (3529) (54215). وابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد

قال ابن القيم: لقد جمع هذا الحديث مصدري الشر ومورديه في أوجز الألفاظ، وهما: النفس والشيطان، وذكر نهايته وهما: عوده على النفس، أو على أخيه المسلم⁽¹⁾.

وأما دليل الجهل فأدلته كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11)، فالإنسان يدعو الله سبحانه عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، أو يدعو معتقداً أن في دعاءه خيراً له، وفي حقيقته شراً له؛ وسبب ذلك جهله وعجلته إلى طلب كل ما يخطر بباله دون النظر إلى العواقب⁽²⁾.

وفي هذا المبحث عرض موجز عن الشيطان، والنفس، والجهل، ثم الحديث في المبحث الذي يليه عن أنواع الشر.

المطلب الأول: شيطان الجن (إبليس):

في هذا المطلب عرض موجز للتعريف بإبليس وأسمائه وحقيقته وغايته وأساليبه:

أولاً: التعريف بإبليس:

أ. التعريف بإبليس في اللغة: "إن اشتقاق إبليس من الإبلّاس"⁽³⁾، أي: "اليأس، ومنه سمّي إبليس لعنه الله عز وجل؛ لأنه أبْلَسَ من رحمة الله عز وجل"⁽⁴⁾، "والله أبلسه من الخير كله، وجعله

الشياني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وعبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم الحديث (6852) (438\11)، قال فيه الألباني: حديث صحيح، ينظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، رقم الحديث (7813)، (1289\2).

(1) ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (209\2).

(2) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (249\3).

(3) الأزد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م. (340\1).

(4) الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1420هـ-1999م، (628\1).

شيطاناً رجيمًا عقوبة لمعصيته، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: 44)،

يعني به: أنهم آيسون من الخير، نادمون حزناً⁽¹⁾.

ب. التعريف بإبليس في الشرع:

إبليس: هو المخلوق من نار، الذي استكف عن السجود لآدم، وخصم ربه عز وجل فيه، وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل عن باب رحمته ومحل أنسه⁽²⁾.

ثانيًا: أسماء إبليس وصفاته التي ذكرت في القرآن الكريم:

أ. أسماءه:

1. الشيطان: قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: 117-118)، ولفظ الشيطان

هنا يقصد به رأس الشر ومادته إبليس، والدليل على ذلك أنه توعّد بإضلال عباد الله وإغوائهم،

ولا شك أن هذا قول إبليس⁽³⁾.

"والشيطان هو كل من اقترب من الشر ودعا إليه، وبعد عن الخير وحذر منه"⁽⁴⁾، وكل من كان

صفته العتو والتمرد سواء كان من الجن أو الإنس أو الدواب، فإنه يطلق عليه شيطان⁽⁵⁾، إلا أن

الشيطان الأول هو إبليس رأس الفساد ومحركه؛ لأن الاقتراب من الشر والبعد عن الخير، هو المعنى

الذي يوافق حال الشيطان عدو الله، فقد أخبر الله جل وعلا أنه أبعد الشيطان عن كل أسباب الخير

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (5091).

(2) ينظر: الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط7، 1402هـ - 1981م، (2092).

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (22011).

(4) عبد الواحد، أبو إسلام صالح بن طه، مداخل الشيطان على الإنسان، مكتبة الغرياء (ص: 14).

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (23813).

وسبله، ومن قرأ كتاب الله يجد أن إبليس همه الشاغل دعوة الناس إلى كل شر، وصدهم عن كل خير، بل يقعد لهم على كل طرق الخير؛ ليمنعهم منها⁽¹⁾.

2. الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ (النساء: 76)، والطاغوت: الشيطان فهو الذي يدعو ويأمر بالسلوك في سبيله، وأن يكون الناس عباداً له وأتباعاً لمنهجه، وكل ما عبد دون الله فهو طاغوت⁽²⁾.

ب. صفاته:

1. الغرور: وهذا الاسم يدل على مدى خبثه وكيده، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (فاطر: 5)، فالغرور هو الشيطان الذي يمني الناس بأن لهم عفو ومغفرة من الله سبحانه مع إبقائهم مصرين دائمين على المعاصي⁽³⁾.

2. الوسواس: قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (الناس: 4). قال أبو السعود: "هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي والمراد به الشيطان وسمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة"⁽⁴⁾.

3. الخناس: "والخناس هو الشيطان؛ لأنه كثير الاختفاء، أو لأنه يخنس ويرجع عن ذكر الله"⁽⁵⁾.

وجميع هذه الأسماء تدل على مدى الشر الذي يبثه هذا العدو اللدود لخلق الله سبحانه.

(1) ينظر: عبد الواحد، مداخل الشيطان على الإنسان (ص: 14).

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (258/3).

(3) ينظر: أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (143/7).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (216/9).

(5) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (378/6).

ثالثاً: حقيقة إبليس:

إن إبليس من الجن حسب الراجح من رأي العلماء، حيث استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾ - الكهف: 50، قال الطبري في تفسيره: أخبر الله سبحانه في كتابه أنه خلق إبليس من الجن، والجن غير الملائكة، كما أخبر أنه خلقه من نار السموم ومن مارج من نار، ولم يخبر أن الملائكة خلقت من شيء من ذلك، كما أنه أخبر أن لإبليس ذرية ونسل والملائكة ليس لهم ذرية؛ لأنهم لا يتناسلون⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: أعلم الله سبحانه وتعالى الملائكة بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وأمرهم بالسجود إليه إكراماً واحتراماً له، وامتنالاً لأمر الله سبحانه، متى فرغ من خلقه وتسويته، فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس الذي لم يكن من جنسهم، بل كان من الجن، فاستكف عن السجود، وخاصم ربه عز وجل في آدم⁽²⁾.

رابعاً: غايته:

إن غاية إبليس إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد، حيث أقسم لله قائلاً: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَلَا ضِلَالَهُمْ وَلَا ضَلَالَهُمْ ۝﴾ (النساء: 118-119)، وأقسم في موضع آخر ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ (ص: 82)، فهو يسعى في إضلالهم عن الصراط المستقيم ضلالاً في العلم، وضلالاً في العمل، ويمنيهم مع الإضلال، بأن ينالوا ما ناله المهتدون، وهذا هو الغرور

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (507/1).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير (817-82).

بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال، وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، فهو لا يريد إلا إهلاكهم بكل ما يقدر عليه، ليبعدهم عن الله وعن رحمته، كما أبعد الله من رحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: 6)⁽¹⁾.

خامساً: أساليب الشيطان في إيقاع الناس في الشرور:

للشيطان أساليب كثيرة في إيقاع الناس في الشرور لا تعد ولا تحصى، ومنها:

- أ. الإغواء وتزوين الشر لهم: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) (الحجر: 39-40)، فقد أقسم العدو اللدود بالله سبحانه ليزينن لبني آدم المعاصي في الدنيا، وليضلنهم عن كل طريق يؤدي إلى الجنة⁽²⁾.
- ب. تجهيل العباد وحجب نور العلم عنهم: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: 104)، لقد زين الشيطان لهم الجهل حتى انغمسوا فيه، فجهلهم قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضل سبيلاً؛ لأنهم يعملون أعمالاً تغضب الحق سبحانه؛ لأنها على غير بصيرة، ومن غير نور من الله تعالى، فهي قائمة على التقليد الأعمى واتباع الهوى، معتقدين بذلك التقرب من الله سبحانه، وهم في حقيقة الأمر من أبعد الخلق عن الله، فهم في ظلمات الجهل، والكفر⁽³⁾.

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 203).

(2) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (211\3).

(3) ينظر: ابن القيم، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1410هـ. (ص: 399-400).

ج. إلقاء العداوة والبغضاء بينهم: عن طريق تعليمهم السحر، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ

عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا

أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 102)، ومما يزيد العداوة والبغضاء بين العباد التلطف بالسيء من القول،

وإطلاق اللسان بما يقبح سماعه، قال تعالى مرشدًا المؤمنين حتى لا يقعوا في حبال الشيطان:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّا الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

مُيْتَنًا ۝٥٣﴾ (الإسراء: 53).

المطلب الثاني: النفس الآدمية:

في هذا المطلب عرض موجز للتعريف بالنفس وأقسامها وشرورها:

أولاً: تعريف النفس:

النفس في اللغة: "إنَّ النَّفْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قَوْلُكَ: خَرَجْتَ نَفْسَ فُلَانٍ، أَيْ:

روحه، وَالضَّرْبُ الْآخَرُ: مَعْنَى النَّفْسِ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَجُمْلَتُهُ"⁽¹⁾.

والنفس في الاصطلاح: "هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"⁽²⁾.

(¹) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور (ت: 370هـ) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م، (8\13).

(²) الجرجاني، التعريفات، (ص: 242).

وتأتي بمعنى: "الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف"⁽¹⁾.

فالنفس هي الجوهر المتعلق بالبدن، والمتحكم والموجه والمسؤول عن كل سلوك وتصرف للإنسان، فجميع أفكاره وأخلاقه وانفعالاته، شرًا كانت أم خيرًا مردها إلى النفس.

ثانيًا: أقسام النفس ومدى استجابتها للشر:

إن النفس من طبعها الميول إلى الشهوات والذات المؤقتة التي سرعان ما تزول، والرغبة بالمحسوس المشاهد، فهي هدف يستهدفه الشيطان كي ينال من ابن آدم، ولكن النفس في قبولها للشر ورفضه على ثلاثة ضروب:

1. النفس المطمئنة: "هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت

بالأخلاق الحميدة"⁽²⁾، قال تعالى: ﴿بِأَيِّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ (الفجر: 27-28).

2. النفس اللوامة: "هي التي تنورت بنور القلب، قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت

عنها سيئة، بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها"⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ

بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ (القيامة: 2)، وهذه النفس لها رتبة عالية، لكنها لا تصل إلى مرتبة النفس

المطمئنة، التي هي أغلب أحوال التائبين، فالشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، ولكنه

يسعى جاهداً ليغلب خيره شره⁽⁴⁾.

(1) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ، (44/9).

(2) الجرجاني، التعريفات (ص: 243).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص: 243).

(4) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ) إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، (44/4).

3. "النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر بالذات والشهوات الحسية، وتجذب

القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة"⁽¹⁾، قال تعالى في هذه

النفس: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: 53).

وبهذه النفس يكمل طرفي الشر الذي مبدأه الشيطان، ومساعدته النفس الأمارة التي طوعته وشاركته

في مراده، وبهذا يعم الشر ويزداد بمقدار هذا التوافق بين أطرافه والقائمين به.

ثالثاً: شرور النفس:

إن شرور النفس الأمارة كثيرة عديدة، فهي تُسَوِّل وتزين الأعمال السيئة، والذنوب والآثام، التي تؤدي

إلى اقتراف الإنسان السوء على نفسه، وهذه نتيجة من نتائج الشر عائدة إلى نفس الإنسان، وجر

السوء على المسلمين، وهذه نتيجة أخرى من نتائج الشر كونه يتعدى الفاعل له والمستجيب له إلى

الآخرين⁽²⁾.

والنفس لها وسوسة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق: 16)، فهذا

توسوس به نفسه لنفسه، كما يقال: حديث النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ

لِأُمَّتِي عَمَّا وَسَّوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ"⁽³⁾، فالذي يوسوس في صدور

الناس نفوسهم، وشياطين الجن، وشياطين الإنس، والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة، وسوسة

الإنس، فالذي يحاك في صدر الإنسان من الشرور لا يقتصر منبعه على شياطين الجن، بل يشمل

(1) الجرجاني، التعريفات (ص: 243).

(2) ينظر: البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، فقه الأدعية والأذكار، الكويت، ط2، 1423هـ-2003م (263).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان والنذور، باب: باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، رقم الحديث (6664)، (135\8) واللفظ له،

وعند مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، رقم الحديث (127)،

(116\1).

وسوسة الإنسان من قبل نفسه ومن قبل شياطين الإنس فهي التي تضربه، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن⁽¹⁾، "فهما وسواسان، فوسواس من الجنّة وهو الخناس، ووسواس من نفس الإنسان"⁽²⁾.

"والنفس توصف تارة بأنها طوعت فيما أمرت من الشر، كقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة:30)، وتارة بأنها أمرت بالشر، كقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف:53)"⁽³⁾.

فأول جريمة قتل في الأرض كانت من تسويل النفس، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة:30) فالنفس طاوعته وشايعته وعاونته في قتل أخيه، حيث صورت له أن أمر القتل سهل ميسور له لا جُنَاح فيه، ولا يترتب عليه الأثر العظيم⁽⁴⁾.

والإنسان إذا تصور أن القتل العمد ظلماً وعدوياً من أعظم الكبائر، فإنّ هذا الاعتقاد يصرفه عن فعله، ويمنعه من الإتيان به، ولكن إذا أوردت النفس أنواع وسواسها صار هذا الفعل سهلاً عليه بعد أن كان عصياً عليه⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ (يوسف:18)، "والنَّسْوِيلُ: تزيين النَّفْسِ لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: 1416هـ-1995م، (510\17).

(2) المرجع السابق، (513\17).

(3) الراغب، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420هـ-1999م، (328\4).

(4) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** (40\2).

(5) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (340\11).

(6) الراغب، **المفردات في غريب القرآن الكريم** (ص: 437).

المطلب الثالث: الجهل

أولاً: تعريف الجهل:

1. الجهل في اللغة: قال ابن فارس: "الْجَيْمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَّةُ وَخِلَافُ الطَّمَأْنِينَةِ"⁽¹⁾.

2. الجهل في الاصطلاح: "هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه"⁽²⁾.

ثانياً: مظاهر الشر المترتبة على الجهل:

الجهل أصل عظيم من أصول الشر، فإن نواة الشر منه تبدأ، وعليه تعتمد، وبه تقوى؛ لأن الجاهل لا يعرف خطوات الشر فيجتنبها، ولا حباله فيقطعها، ولا أهله فيحذرهم، فأمواج الشر تسحبه إليها وهو لا يدري، فلا يميز الشر من الخير، ويلبس الباطل ثوب الحق، فهو العدو الأول لنفسه، يسعى في دمارها من حيث لا يشعر، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، فإن الشيء قد يكون محبوباً ملائماً ولكن في ارتكابه الهلاك، وقد يكون مكروهاً تنفر منه الطباع وفي ارتكابه كل الصلاح، ومن شأن جمهور الناس الغفلة والجهل عن العواقب والغايات، فكانت الشرائع ومن يحملها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الفعل والترك باعتبار الغاية والعاقبة⁽³⁾، ولا يعلم بالخير من الشر جاهل بهما فهو دائم السعي في هلاك نفسه لشدة جهله، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11) فهو

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (489\1).

(2) الجرجاني، التعريفات (ص: 80).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (322\2).

يبالغ في طلب شيء يعتقد أن فيه الخير، وحقيقته أنه منبع الشر والضرر والسبب في شدة مبالغته في طلبه لذلك هو جهله بحال ذلك الشيء وبهذا يكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

ومن مظاهر الشر المترتبة على الجهل:

1. أنه يدفع الناس إلى الشرك بالله: قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِ أَعْبُدُ إِلَٰهَهَا

الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: 64) إن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه أن يقول لقومه الجاهلين، أبعده

وضوح الآيات الدالة على وحدانية الله سبحانه، تأمروني أن أعبد غيره ممن لا يستحق

العبادة؟⁽²⁾؛ والذي دفعهم لعبادة غير الله، والتعصب لها الجهل بالله وعظمته ولهذا وصفهم الله

سبحانه وتعالى بالجهل⁽³⁾.

فالجهل هو الذي سول لهم الشرك، ولو أنهم كانوا أهل علم بالله تعالى وأنه وحده الكامل من جميع

الوجوه ما صدر منهم ذلك⁽⁴⁾.

والجهل إذا تملك الإنسان لن تنفعه الآيات البينات وإن عاينها، فبنو إسرائيل يطلبون من نبيهم بعد

أن شاهدوا الآيات الداحضة لكل شبهة وريبة، أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه مع الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَجَوَرْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى

أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: 138)، فهم قد جهلوا نعمة

الله عليهم، وما صنع بهم، وما منّ عليهم من معجزات بينات، إلا أن جهلهم أوهمهم بأنه يجوز

عبادة غيره⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (305\20).

(2) ينظر: القطان، تيسير التفسير (178\3).

(3) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (465\4).

(4) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 729).

(5) ينظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: 411).

2. **عمل الفواحش:** فالجهل والعصيان في علاقة طردية، فكلما زاد الجهل فحشت المعصية، ولهذا

كثر عند الحكماء تعظيم خطر الجهل وأنه أشد المعاصي، وأن أعظم معصية عصي الله تعالى

بها معصية الجهل⁽¹⁾، ومن أعظم الفواحش والمعاصي ما قام به قوم لوط والذي دفعهم لذلك هو

جهلهم العقيم، قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنشَمَ قَوْمُ

بَجَهْلُوتٍ ۖ﴾ (النمل: 55) وفي هذا بيان أنهم قوم يفعلون فعل الجهال الذين لا عقول لهم، ولا

يدرون عظيم قبح ما يفعلون.

والذي دفعهم لهذه الجريمة، جهلهم بما يترتب عليها من عواقب، وإلا لما قادتهم شهوتهم على أن

يأتوا الرجال، ويذروا النساء اللاتي فيهن محاسن الجمال، وفيهن مباحج الرجال، فهم سبقوا غيرهم

في جهلهم وسفهمهم ومجونهم⁽²⁾.

3. **الفرقة في الأمة والافتتال فيما بينهم:** قال ابن تيمية: "فإذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا

في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم"⁽³⁾، ولا حاجباً لنور النبوة ومفرقاً

للجماعات مثل الجهل، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يدري، بل قد يريد

الخير فيقع في الشر، فالجهل أوجد لنا فرقاً متناحرة متناقضة، معاول هدم لهذا الدين بحجة

الدفاع عنه وما ذلك إلا لجهلهم، ومن هذه الفرق الخوارج والروافض وقد قال ابن تيمية عن

الخوارج: "فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، (ت: 386هـ) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريـد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط2، 1426هـ-2005م، (258\2).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (150\19).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (310\17).

(4) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ-1986م، (464\3).

وكان جهلهم شرًا على الأمة، وسببًا للفرقة والقتال بين المسلمين، قال ابن حجر: إن الخوارج عندما حكموا بكفر مخالفهم من أهل الإسلام، استباحوا دماءهم، وانشغلوا بقتالهم، وتركوا قتال المشركين؛ وسبب ذلك عبادتهم التي قامت على جهل، وعدم انشراح صدورهم بنور العلم⁽¹⁾.

وأما الروافض فهم شر من الخوارج؛ لما عندهم من شدة التكذيب بالحق، وإفراطهم بالجهل، وتصديقهم بما هو مستحيل وتعلقهم بالمجهولات⁽²⁾.

فالخوارج والروافض من شر النماذج التي تسببت بالقتل والفرقة بين المسلمين، وسبب ذلك الجهل الذي ألقى بهم في المهالك والشرور، ولم يقتصر شرهم على أنفسهم بل تعدى للأمة بشكل عام.

4. الجهل سبب للإعراض عن دعوة الأنبياء والمصلحين: فقوم نوح عليه السلام بلغ فيهم الجهل

مبلغه، فامتنعوا عن الإيمان بالله؛ حتى لا يشاركهم الفقراء في ذلك، فطلبوا من نبيهم طرد

المؤمنين الضعفاء والفقراء حتى يؤمنوا، وما ذلك إلا لشدة جهلهم الذي بينه لهم نبيهم، قال تعالى

على لسان نبيه: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْكُ قَوْمًا

تَجْهَلُونَ﴾ (هود: 29) فهم جهلوا حقيقة الإيمان القائم على زكاة النفوس، وطهارة الأرواح، والعمل

الصالح، فجعلهم صوّر لهم في معتقدتهم أن الإيمان قائم على الشرف والمال والجاه، فهم بذلك

قوم جهال، وإلا لما طلبوا من نوح عليه السلام طرد المؤمنين الفقراء⁽³⁾.

فنبههم أخبرهم بمرضهم الذي دفعهم لذلك وهو أنهم قوم ذو جهالة، دفعهم جهلهم لاستبدال الجنة بالنار والضلال بالهدى.

(1) ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (301\12).

(2) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (435\3).

(3) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير (539\2).

بل إن جهلهم دفعهم لإلحاق الأذى والضرر بالدعاة والمصلحين، وليس الاقتصار على الإعراض عن دعوتهم، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: 63)، فهؤلاء المشركون المتصفون بالجهل كانوا يتعرضون للمسلمين بالأذى والشتم، فأرشدهم الله إلى أن علاج السفهاء التترك والحلم معهم؛ لأن الحلم ضد الجهل⁽¹⁾.

5. **استعجال العذاب:** قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكًا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأنعام: 23-22)، فأجابهم نبيهم بأن جهلكم هو الذي جعلكم تستعجلون العذاب وتطلبونه⁽²⁾، وفي ذلك إشارة إلى عدم معرفتهم لحقيقة دعوة الأنبياء، فإن الله سبحانه بعثهم ليبلغوا وليندروا أقوامهم لا ليقترحوا عليهم العذاب⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (365\63).

(2) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير (185\3).

(3) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (115\1).

المبحث الثاني: أنواع الشر

إن معرفة العبد للشر وطرقه، فيها معرفة لكل من الخير والشر، فمن يعلم الشر ويسعى في اعتزاله؛ فإن ما يبقى بعد ذلك أمامه خير، فبداية العلم تكون بمعرفة الشر لا الخير؛ لأن الخير قد يمازج بالشر، بخلاف الشر الذي يكون شرًا كله⁽¹⁾، وطرق الشر كثيرة لا يمكن حصرها في بحث كهذا، فاقصر المبحث على عرض ستة منها لعلها تكون من أهم مظاهره وطرقه التي يتجلى بها، وأكثر أهل الشر معروفون وموصوفون بها، ومنها:

المطلب الأول: الكفر والشرك بالله:

أولاً: التعريف بالكفر والشرك بالله:

1. الكفر والشرك في اللغة:

أ. الكُفْرُ: "السُّتْرُ والتَّغْطِيَةُ، وَهُوَ ضِدُّ الْإِيمَانِ، لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسِتْرُهَا"⁽²⁾، "وَهُوَ ضِدُّ الشُّكْرِ"⁽³⁾.

ب. الشرك: "يدل على مقارنة وخلاف انفراد، كأن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهم"⁽⁴⁾.

2. الكفر والشرك في الاصطلاح:

أ. الكفر: هو "جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: المحاسبي، الحارث بن أسد، أبو عبد الله (ت: 243هـ)، آداب النفوس، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجبل - بيروت - لبنان، (ص: 63).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (191\5).

(3) ابن منظور، لسان العرب (144\5).

(4) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (223\27).

(5) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 282).

ب. الشرك بالله: "هو أن يتخذ من دون الله ندًا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن

تسوية آلهة المشركين برب العالمين"(1).

أو "إثبات الشريك لله في الألوهية، سواء كان بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة"(2).

ثانيًا: الصلة بين الكفر والشرك بالله:

"الكفر والشرك إذا افترقا فهما بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى، وإذا اجتمعا في آية أو حديث أو كلام، فالمراد بالكفر جحود الخالق سبحانه، والمراد بالشرك جعل شريك لله من مخلوقاته، وإشراكه معه في العبادة"(3).

فالكفر والشرك بينهما عموم وخصوص، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشرك، والكفر على وجهه، فكفر يكون بإشراك إله يعبد مع الله سبحانه، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولد لله، ونحو ذلك(4).

ثالثًا: مظاهر الشر المترتبة على الكفر والشرك:

إن الكفر والشرك من أوسع أبواب الشر على النفس والمجتمع، وقد وصف الله سبحانه أهلها بأنهم شر الخلق ممن دبَّ على وجه الأرض، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: 55) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: 6) فالذين يكفرون بالله ويجعلون له أندادًا هم

(1) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، 3ط، 1416هـ - 1996م، (348\1).

(2) الكفوي، الكليات (ص: 121).

(3) التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، موسوعة فقه القلوب، بيت الأفكار الدولية، (1172\2).

(4) ينظر: الهروي، تهذيب اللغة (111\10).

شرار الخليقة على الإطلاق، لأنهم أنكروا الحق بعد معرفته، وقيام الدليل عليه، فجلبوا لأنفسهم الدمار والوبال⁽¹⁾، "والبرية: هي جميع الخلق، لأن الله تعالى برأهم أو أوجدتهم بعد العدم"⁽²⁾، فالمشرك والكافر شر الخليقة، وقد توعدهم الله سبحانه بشر حساب وعقاب؛ لما لكفرهم وشركهم من شرور جسيمة عظيمة على النفس والمجتمع، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُصِيبُ﴾ (الحج:72) وللکفر والشرك شرور كثيرة مترتبة عليهما، منها:

1. أن صاحبهما من أنجس الناس: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ (التوبة:28)، والمراد بالنجاسة هنا النجاسة المعنوية

لا الحسية، فالمعنوية كالشر والأذى، وإلا لما اقتصر وصف بعض الناس به دون بعض، وإذا

وصف إنسان بأنه نجس، أريد به أنه شرير خبيث النفس، وهذا وصف كان يطلقه العرب على

من خبثت نفسه، فالمشركون أنجاس؛ لفساد معتقدتهم، حيث أشركوا بالله وعبدوا ما لا يملك لهم

نفعًا ولا ضرًا، ودانوا بالخرافات والأوهام، وأكلوا الميتة والدم مما قدر من الأقدار الحسية، واستحلوا

القمار والزنا من الأرجاس المعنوية⁽³⁾.

2. أن صاحبهما من أظلم الظلمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِّابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:13) فالمشرك الكافر أظلم الظلمة؛ لما قام به من تسوية

بين من لا نعمة إلا وهي منه، ومن لا نعمة له أصلاً ولا يستحق أن يكون معبوداً أصلاً⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (216\30).

(2) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ، (508\5).

(3) ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م (241\10-243).

(4) ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (714\2).

3. **الحرمان من المغفرة:** قال ابن القيم: والعبد لا يستحق اسم التائب حتى يتخلص من أجناس

المحرمات وعلى رأسها الكفر والشرك⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 48) فقد تواعد الله المشرك

بعدم المغفرة وعدم العفو عنه، وبت الحكم عليه بالخلود في العذاب؛ لأن جرم المشرك لا يمحي

أثره، بخلاف غيره من الذنوب التي لا تصل إلى حد الشرك، فالله سبحانه يتوب على العبد

ويغفر له ذلك تفضلاً منه وإحساناً⁽²⁾.

4. **سوء الظن بالله سبحانه وتعالى:** وهذه من شر الخصال وأسوأها، حيث تعود على صاحبها

بالشر في الدنيا كفقدان الراحة والطمأنينة، واقتراف شر الأعمال، وفي الآخرة بالعذاب الشديد،

قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: 23)،

إن أعمال الناس على قدر ظنونهم بربهم، فالمؤمن يحسن بالله الظن، فيكون عمله حسناً مقبولاً،

وأما الكافر والمنافق، فإنهما يسيئان الظن بالله، فيسوء عملهما ويقبح⁽³⁾، فما أسوأ هذا الظن

بالله، وما أخسر من ظن بالله ظن السوء، ونسب إليه ما لا يليق به وبجلاله وعظمته وكبريائه.

5. **الصد عن سبيل الله تعالى:** قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ

إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109)،

(1) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (344\1).

(2) ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق:

محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ، (78\2).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (456\21).

فهؤلاء كفروا بالله سبحانه، ويحبون أن يكفر الناس بالله معهم بعد أن أكرمكم الله بالإيمان؛ وما ذلك إلا لشدة حسدهم وبغيهم⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:1)، فهؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال، جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والسعي في صد أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، الذي أرسل به الرسل وحث على التمسك به واتباعه⁽²⁾.

6. فقد النور والتقلب في ظلمات الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 122)، فالكافر يتخبط في ظلمات الشرك لا يخرج منها أبداً⁽³⁾، ومهما سعى في التخلص من ظلماته فلن يقدر حتى يتطهر من شركه وكفره⁽⁴⁾، وهو يتقلب في بحور الهم والغم والظلمات، وإن كان فيما يرى الناس سعيداً.

رابعاً: عاقبة الكفر والشرك على أصحابهما:

1. العذاب في الدنيا: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد:31) الكفار لا يزالون تصيبهم

(1) ينظر: مكي، بن أبي طالب حَمَوَش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ - 2008م، (398\1).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 784).

(3) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، (2/141).

(4) ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (534\1).

داهية مهلكة ترجف منها قلوبهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله، والقارعة تطلق على القتل والأسر والجذب وغيره من صنوف العذاب الذي يكون في غاية الشدة⁽¹⁾.

2. إحياء الأعمال وفقدان ثواب العمل يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: 23) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217) إن الذين يموتون وهم كفار بالله، فإن الله سيحبط أعمالهم، ويبطل حسناتهم في الدنيا والآخرة، ولا يثابون على ما عملوا⁽²⁾؛ لأن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا كان صاحبه مؤمناً بالله، مخلصاً له، مقتدياً برسوله محمد، صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 88)، والأنبياء على علو قدرهم وفضلهم، فإنهم إذا أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فسيبطل الله أعمالهم ويحبطها، فكيف بغيرهم من الخلق؟⁽⁴⁾.

3. ينزل صاحبه إلى أسفل الدرجات والذل والهوان: قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (الإسراء: 22) فمن يجعل لله نداً، فإنه سيجمع على نفسه الذم من الملائكة

(1) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ) فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، (99\3).

(2) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ)، بحر العلوم (142\1).

(3) ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط2، 1430هـ-2009م، (ص: 362).

(4) ينظر: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1417هـ-1997م، (374\1).

والمؤمنين، والخذلان من الله تعالى⁽¹⁾، ويبقى في قهر وذلة، لا ناصر له ينصره من الخذلان الذي أوقع به نفسه⁽²⁾.

4. الحرمان من الجنة والخلود في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: 72)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٥) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الأحزاب: 64-65) فالله سبحانه وتعالى أبعد هؤلاء الكفار عن رحمته، وأعد لهم نارًا شديدة التسعير والإيقاد، وكتب عليهم الخلود فيها، وحجب عنهم من يحفظهم من الأولياء، ومنعهم من النصير الذي يدفع العذاب عنهم⁽³⁾.

المطلب الثاني: الطغيان:

أولاً: تعريف الطغيان:

أ. الطغيان في اللغة: "كل شيء يجاوز القدر"⁽⁴⁾، أو "يجاوز الحد في العصيان"⁽⁵⁾. ويطلق لفظ الطاغية: "على الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال"⁽⁶⁾، وعلى كل جبار عنيد، والأحمق المستكبر الظالم⁽⁷⁾، "ومن ارتفع وغلا في الكفر"⁽⁸⁾، "وكل معبود من دون الله عز وجل"⁽⁹⁾.

(1) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (165\5).

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (25\7).

(3) ينظر: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي -القاهرة، الطبعة: 1419هـ، (464\4).

(4) الفراهيدي، كتاب العين (435\4).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (412\3).

(6) الرازي، مختار الصحاح (191\1).

(7) ينظر: الهروي، تهذيب اللغة (154\8).

(8) ابن منظور، لسان العرب (7\15).

(9) المرجع السابق (9\15).

ب. الطغيان في الاصطلاح:

الطَّاعِيَةُ: "هو كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء⁽¹⁾".

ثانياً: مظاهر الشر المترتبة على الطغيان:

إن الطغيان مدخل من مداخل الشر على النفس والمجتمع، وقد توعد الله الطغاة بشر عذاب جزاء لشدة شرهم الذي كان منبعه التمادي والإفراط في الطغيان، قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ﴾ (ص:55) فالله سبحانه أعد لهم أشد عذاب وأغلظ منقلب ومرجع؛ عقوبة لهم على طغيانهم، وعلى الشرور التي اقترفوها، ومن مظاهر الشرور المترتبة على الطغيان:

1. الكفر والصد عن سبيل الله: فالطغيان يدفع بأصحابه إلى الكفر، والصد عن سبيل الله، فهم

يكفرون ويجرون غيرهم إلى الكفر والضلال، ويقفون عثرة في وجوه الأنبياء والصالحين والدعاة،

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ (٥٥) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ (الذاريات:52-53) فهؤلاء الطغاة وصفوا أنبياء الله ورسله بأنهم من أهل السحر

والجنون، ولم يكتفوا بعدم اتباعهم؛ لكنهم اتفقوا في الطغيان والعصيان، وسلخوا مسلماً واحداً في

تكذيبهم، وكفرهم بالله سبحانه⁽²⁾، وهم لم يزعموا ذلك عن جهل وشبهة، وإنما عن طغيان، وتعد

لحد الله - عز وجل - والمجاورة له⁽³⁾.

2. ادعاء الألوهية والربوبية: فالطاغية قد لا يقتصر على الكفر، وإنكار وحدانية الله أو وجوده،

بل إن طغيانه يوصله إلى أن يقول: إنه إله يجب أن يعبد، كما قال فرعون لقومه، قال تعالى:

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (419\5).

(2) ينظر: مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره (7107\11).

(3) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (393\9).

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (النازعات: 17) فرعون الطاغية قد تجاوز قدره حيث ادعى الألوهية

والربوبية، فقال: أنا ربكم الأعلى⁽¹⁾.

3. **الإفساد والجور والظلم في الأرض:** إن الطغاة يسعون جاهدين للإفساد في الأرض بكافة الصور

والأشكال التي يقدرّون عليها، دون مراعاة حق الله سبحانه أو حق عباده، فتراهم يبلغون في

الظلم ذروته، فيعيثون في البلاد والعباد قتلاً وتفریقاً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي

الْبِلَادِ﴾ (الفجر: 11)، أي: "تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس"⁽²⁾، "وهذا

الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وأدوا عباد الله، في

دينهم ودنياهم"⁽³⁾.

ومن وسائل إفسادهم وجورهم، نشر الفرقة بين الناس، فهذا فرعون الذي بلغ طغيانه ذروته في الفساد

والقتل والتجبر والظلم ونشر الفرقة، قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4)، إن

فرعون تجبر وتكبر في أرض مصر، وجعل الناس فيها فرقاً يسيرهم ويسخرهم لخدمته، يستضعف

طوائف منهم كبني إسرائيل الذين لا يقدرّون على دفعه وصدّه، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم،

وهذا في غاية الإفساد حيث بلغ فيهم ذروته بالقتل والتجبر⁽⁴⁾.

4. **قلب الأمور وإضلال الناس عن الحقيقة:** ضرب الله سبحانه وتعالى لنا أمثلة عن الطغاة في

قلب الأمور والحقائق، وإبدال الحق بالباطل، وإنزال الضلال على أنه حق يجب أن يحمى

(1) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (350/3).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (397/8).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 923).

(4) ينظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل،

تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ، (356/3).

ويطاع، ومن أمثلة ذلك فرعون الطاغية وكيف بدل الحقائق، وضلل العباد حيث قال: ﴿قَالَ

فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 29)، فهذا اعتراض من

فرعون على موسى؛ لإضلال قومه لكي يتبعوه، ويقيم رياسته بهم، فسعى إلى قلب الحق وزعم

أن في اتباعه اتباع الحق، وفي اتباع ما جاء به موسى الذي هو الحق فعلا؛ اتباع الضلال،

ولو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون⁽¹⁾.

ففرعون الطاغية أصبح صاحب الحق، المشفق على قومه ورعيته، الناصح الأمين لهم، فهو ينزل

موسى النبي صاحب الحق والرشاد، منزلة المفسد في الأرض الذي يجب أن يعجل بقتله والتخلص

منه حفاظًا على البلاد والعباد، وما ذلك إلا لعتو طغيانه واستخفافه بقومه.

حيث حصر طريق الحق والصواب في أمر موسى بقتله، وإلا فإنه سيبدل دينكم، ويظهر في أرضكم

الفساد.

ثالثًا: عاقبة الطغيان:

إن عاقبة الطغاة العذاب في الدنيا والآخرة: فالطغيان لا يجر على أهله إلا الحسرات والويلات، ففي

الدنيا لهم خزي، وفي الآخرة عذاب أخزى وأعظم، وما ذلك إلا مقابلة لأعمالهم الشريرة، "فقوم ثمود

بلغوا النهاية في تكذيبهم، فكانوا على الغاية من سوء تعذيبهم"⁽²⁾.

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 736).

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (80\22).

"فكانت عاقبتهم أن أهلكهم الله سبحانه بالهلاك المعجل قال تعالى: ﴿قَالَمَا تَوْدُ فَأُهْلِكُوا

بِالطَّاعَةِ﴾ (الحاقة:5)، وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم، وزهقت لها

أرواحهم، فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم وجثثهم" (1).

هذا في الدنيا وأي شر أعظم من هذه النهاية التي صاحبها غضب الرحمن، وأما ما ينتظرهم من

شر في الآخرة فإنه أعظم وأشد، ولقد توعد الله بذلك كل الطغاة الذين غرهم طغيانهم، قال تعالى:

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيَتِ لَشَرَّ مَقَابٍ ۖ﴾ (ص:55) فالطغاة الذين يسعون جاهدين على رفع أنفسهم فوق

قدرها، ويتجاوزون الحد في الكفر، والإسراف في المعاصي، والظلم والتجبر والتكبر على الله سبحانه

وعلى خلقه، فهم أحمق الناس (2)، فإن الله سبحانه أعد لهم أسوأ منقلب ومرجع، فجهم مصيرهم

ومأواهم، تغمرهم من جميع جوانبهم، شرابهم الحميم الحار الذي انتهى حره، والغساق الذي لا يستساغ

ولا يستطيعون شربه لشدة برده المؤلم، ولهم فيها أشياء من هذا القبيل، فهم يعاقبون بالشيء وضده؛

عقوبة لهم على طغيانهم (3).

المطلب الثالث: الحسد:

أولاً: تعريف الحسد: الحسد في اللغة والاصطلاح بمعنى واحد: وهو "تمني زوال نعمة المحسود إلى

الحاسد" (4)، أو "إِرَادَةُ زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ" (5).

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:882).

(2) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (404\16).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (78\7).

(4) الجرجاني، التعريفات (ص: 87).

(5) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص: 672).

ثانيًا: الحسد في النفوس: إن الحسد أمر متجذر في النفوس البشرية، وما من نفس إلا وللحسد فيها نصيب، لكن النقي يُخفيه ولا يظهره، بخلاف غيره ممن يكون للحسد نصيب كبير في ملامحه وأقواله وأفعاله.

قيل للحسن البصري هل يحسد المؤمن قال: "لا أبا لك، ما أنساك بني يعقوب حيث حسدوا يُوسف، ولكن غم الحسد في صدرك، فإنه لا يضرّك ما لم يعد لسانك، وتعمل به يدك".
والعاقِل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه، أبلغ المجهود في كتمانهِ وترك إبداء ما خطر بباله⁽¹⁾.

ثالثًا: مظاهر الشر المترتبة على الحسد:

إن الحسد من الشرور العظيمة، وقد أمرنا الله سبحانه بالاستعاذة منه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ ۝ (الفلق: 1)﴾، إلى قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ (الفلق: 5)، وما ذلك إلا لشدة الشر الذي يأتي من الحسد، ومن مظاهر الشر المترتبة على الحسد:

1. يدفع صاحبه للكفر بالله ودفع الآخرين إليه: ومثال ذلك إبليس الذي كفر بالله سبحانه وأظهر نواياه الشريرة؛ ومن أسباب ذلك الحسد، قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ (الإسراء: 62)،⁽²⁾ "فهذا عهد قطعه إبليس على نفسه، وهو أن يهين هذا الإنسان الذي كرمه الله سبحانه، وأن ينزله من مكانته السامية، وذلك بدعوته إلى كل فحش ومنكر من القول والفعل، وتزيين كل باطل وقبيح، فيجعله تابعًا له في

(1) البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، (ت: 354هـ) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت (ص: 136).

(2) ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ) زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (4414\8).

الدنيا بفعل الفواحش، وانتهاك النواهي، وعدم امتثال الأوامر، وفي الآخرة بمرافقته له في النار، والحرمان من الجنة، التي أعدها الله لأدم وذريته، وسبب ذلك كله شدة حسده لأدم، ولما أكرمه الله سبحانه به⁽¹⁾.

فالحاسد يسعى لإدخال الآخرين في الكفر، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109) فهؤلاء الحساد من أهل الكتاب كفروا بالله سبحانه وتعالى، ويحبون أن تكفروا معهم بعد أن أكرمكم الله بالإيمان؛ وما ذلك إلا بسبب شدة حسدهم⁽²⁾.

2. الحسد يدفع صاحبه إلى القتل: إن الحسد يدفع بأهله إلى السعي في القتل وسفك الدماء، فأول جريمة قتل بين أبناء آدم كان الدافع لها الحسد، حيث قتل أحد ابني آدم أخاه حسداً⁽³⁾ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ⁽⁴⁾ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (المائدة: 27).

ولقد نهى يعقوب ابنه يوسف عليهما السلام من أن يقصص رؤياه على إخوته؛ مخافة أن تغل صدورهم لذلك، فيعملوا الحيلة في هلاكه، فالحسد الذي غمر قلوبهم جعلهم يسعون في عقوق أبيهم، والكذب عليه، وتعرض أخيهما للهلاك، والتأمر في قتله، فشدة حسدهم جعلهم يجمعون أنواعاً من الكبائر⁽⁴⁾.

(1) عبد الواحد، مداخل الشيطان على الإنسان (ص: 31).

(2) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (98/1).

(3) ينظر: عبد الواحد، مداخل الشيطان على الإنسان (ص: 35).

(4) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (127/9).

قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف:5).

3. الحسد يجعل صاحبه من شرار الخلق: إن الحاسد يتمنى زوال النعمة من المحسود إليه، وفي ذلك اقتصار المنفعة على نفسه، وحرمان غيره منها، أو يتمنى زوال النعمة من المحسود دون الاهتمام بانتقال النعمة إليه، وهذه النفس من شر النفوس، ولأجل ذلك أمرنا الله عز وجل أن نستعيز به من شر الحاسد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، إلى قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق:2-5).

المطلب الرابع: السحر.

أولاً: تعريف السحر:

1. السحر في اللغة: "كل ما لطف مأخذه ودق"⁽¹⁾.
 2. السحر في الاصطلاح: "هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم"⁽²⁾.
- "وَالسِّحْرُ عَمَلٌ تُقَرَّبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَبِمَعُونَةٍ مِنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَيْنُونَةٌ لِلْسِّحْرِ"⁽³⁾، فهو عمل شرير تعاون فيه واشترك به شيطان الجن وشيطان الإنس الساحر.

(1) ابن منظور، لسان العرب (348/4).

(2) المعتيق، عواد بن عبد الله، حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 34، العدد 115، 1422هـ-2002م (ص: 140).

(3) ابن منظور، لسان العرب (348/4).

ثانياً: تأثير السحر: إن السحر مما يخشى ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله، حيث أن الله قدّر أن تكون له حقيقة تؤثر في المسحور، بعد إذن الله ومشيئته، وقدّر الله أن يكون له منفذاً ومخرجاً، وذلك بالالتجاء لمن بيده الأمر كله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفرقان:4)، وفي هذه الآية استعاذة من شر السحر، الذي يصنعه السحرة بالعقد على الخيوط، والنفث فيها، مع استعانتهم بشياطينهم الخبيثة؛ لكي يوقعوا السحر على المسحور بإذن الله الكوني القدر لا الأمر الشرعي⁽¹⁾.

ثالثاً: مظاهر الشر المترتبة على السحر:

إن السحر من سهام الشر المسمومة التي تردي بالنفوس والمجتمع في براثن الشر والظلام الحالك، ولشدة شره أمرنا الله بالاستعاذة منه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفرقان:4)، ومن مظاهر الشر المترتبة على السحر:

1. يفضي بصاحبه إلى الكفر بالله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ

مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ

عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرُ﴾ (البقرة:102) لقد دلّ مفهوم الآية على تحريم السحر، ونص على أن تعلمه فتنة،

وأن الساحر كافر خارج من دائرة الإسلام⁽²⁾؛ لأن السحر قائم على ألفاظ تحتوي الكفر والفحش

المخالف للشرع، الذي يتوصل به إلى الاستعانة بالشياطين⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (221\2).

(2) ينظر: الجريسي، خالد بن عبد الرحمن بن علي، الحذر من السحر، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض (ص:213).

(3) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (29\1).

2. **الإفساد في الأرض:** يقول الله سبحانه وتعالى في السحرة على لسان نبيه موسى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا

قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (يونس: 81)

وتبين هذه الآية قاعدة عامة لسنة الله في صراع الحق والباطل، والخير والشر، والسحر منبع من منابع الشر والفساد، والله سبحانه سيبطله ويبطل عمل أهله الذين يسعون في الأرض شراً وفساداً⁽¹⁾.

ومن الفساد الذي ينتج عن السحر:

أ. التفريق بين المرء وزوجه: قال تعالى: ﴿يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ﴾ (البقرة: 102)، فيتعلم الناس السحر من الملكين ليفرقوا بين المرء وزوجه، والسحر

من الأسباب التي تفرق بين الزوجين لما فيه من الحيل والتمويه، كالنَّفَث في العقد، ونحو ذلك؛ مما يحدث الله به الترك والنشوز والخلاف؛ ابتلاءً منه⁽²⁾.

ب. الإضرار بالناس: إن السحر علم لا يُقصد من تعلمه، إلا إيقاع الضر والأذى في الناس، مع

نشر الفساد والضلال⁽³⁾، كما أن السحر يؤثر في الأبدان كالمرض والموت والجنون، إضافة

على تأثيره في الطباع والنفوس⁽⁴⁾.

(1) ينظر: رضا، تفسير المنار (382\11).

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (173\1).

(3) ينظر: الجريسي، الحذر من السحر (ص: 204).

(4) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (148\1).

فهو علم قائم على ضرر الناس لا نفعهم؛ لأنهم يقصدون به الشر⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (البقرة: 102).

3. صد الناس عن الحق وتزيين الباطل لهم: وهذا من الشر والفساد العظيم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آَلَفُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٨١) وسبب كون السحرة مفسدين؛ لأن غايتهم تضليل عقول الناس ليكونوا مسخرين لهم، وبيقوا آلة بيد السحرة، ولا يوفقوا إلى إصلاح أنفسهم، ومن ذلك سحرة فرعون الذين سعوا إلى ترويح ونشر الكفر والضلال، وصد الناس عن الحق وعن الدين القويم⁽²⁾.

رابعًا: عاقبة السحر على أهله:

إن السحر يؤدي بأصحابه إلى العذاب العظيم في الدنيا والآخرة: فالسحر يجلب لصاحبه القتل في الدنيا؛ فهو في ذاته كفر، ويجلب إلحاق الضرر بالآخرين في أبدانهم وأموالهم وقد يصل آذاهم إلى حد قتل الآخرين، فكان العدل مقابلة هذه الشرور الناجمة عن السحر بقتل صاحبها ومركبها، فعن عمر رضي الله عنه أنه كتب قبل موته بسنة: "أَنْ اِقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ"⁽³⁾، وفي رواية: "اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة"⁽⁴⁾، "وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (173\1).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (257\11).

(3) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، رقم الأثر (3043)، (168\3).

(4) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُشْرُجُردِي الخراساني، (ت: 458هـ) السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424هـ-2003م، رقم الأثر (16498)، (233\8).

(5) ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الأذري الصالحي الدمشقي (ت: 792هـ) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1-1418هـ، (519\1).

وإن نجا الساحر من القتل فقد بين الله سبحانه وتعالى عدم فلاح الساحر مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه:69)، إن أهل السحر لا يفلحون أبداً، فلا يظفرون بمطلوب تمنوه، ولا يفوزون بخير أرادوه، ولا ينجون من مكروه وقع بهم⁽¹⁾.

والنبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بتجنب السبع المهلكات حيث قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" وابتدأ بأعظمهن وهما (الشرك بالله، والسحر)⁽²⁾.

والموبقات: هن المهلكات⁽³⁾، فالسحر هلاك للساحر، وشر عظيم في الدنيا والآخرة.

وأما جزاؤه في الآخرة: فإن مصير الساحر الذي يموت على سحره النار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:102)؛ لأن الساحر بسعيه في تعلم السحر قد اشترى الشرك والكفر بالله؛ فلم يبق له في الآخرة من نصيب⁽⁴⁾.

والساحر لما تعلم السحر أشرك بالله، وأخذ من الدنيا ما انتهت نفسه من طريق السحر، بمقدار ما أعطى الله إبليس من السلطان في إدراك الأشياء وتعجلها وتكونها له على ما تمناه؛ استدراجاً ومكراً؛ لينتقم منه، ومن أتباعه من الشياطين والادمييين يوم القيامة⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (528\2).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات، رقم الحديث (6857)، (175\8) ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (89)، (92\1).

(3) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب دار المعرفة - بيروت، 1379 (232\10).

(4) ينظر: الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله (ت: نحو 320هـ) المنهيات، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة، مصر، 1406هـ، (ص: 100).

(5) ينظر: المرجع السابق (ص: 99).

المطلب الخامس: المبالغة في حب الدنيا.

أولاً: حب الدنيا بين الذم والمدح:

1. **الحب المذموم:** إن حب الدنيا المذموم هو ما كان على حساب الآخرة، ومخالف لمنهج الله سبحانه⁽¹⁾.

2. **الحب الممدوح:** القائم على عمارتها والسعي فيها بما يرضي الله سبحانه، فإنه ممدوح مطلوب، وهو مقصد شرعي حسن، وما جاءت الشريعة إلا لإصلاح الدنيا، والإعداد لنيل الحياة الآخرة الأبدية، قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسْنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: 148)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ (التوبة: 52)، وغيرها من الآيات والأحاديث الصحيحة⁽²⁾.

ثانياً: مظاهر الشر المترتبة على المبالغة في حب الدنيا:

من أسباب الشر حب الدنيا، فإن حبها غامض، قد هلك فيه خلق كثير، لم ينج منهم إلا العلماء بحقيقتها، ولم يسلم من شرها إلا المتحققون بالعلم واليقين؛ وهم الذين زهدوا بالدنيا⁽³⁾، ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ"⁽⁴⁾، فمرض القلوب أصله من حب الدنيا⁽⁵⁾، الذي يُبعد الإنسان عن كل خير ويجره إلى كل شر، وذلك باجتناب أوامر الله سبحانه كترك النفقة والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (115/4).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (115/4).

(3) ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب (186/2).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر رقم الحديث (6420) (89/8).

(5) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ) التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1406هـ-1986م، (23/2).

بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ (آل عمران: 180)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة: 216).

وقد ذكر الله تعالى أن السبب الأصلي في وقوع أهل الجهل في أودية الضلال ومقامات الخزي والنكال هو حبهم للعالم وشدة رغبتهم في مالها وجاهاها واعتقادهم أن ذلك لا يحصل إلا بجدهم واجتهادهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾﴾ (الإسراء: 83)⁽¹⁾.

ولحب الدنيا شرور أخرى مترتبة عليها، ومنها:

1. الدنيا تصد أصحابها عن قبول الحق وطريق الرشاد: قال تعالى: ﴿رُئِيَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة: 112)، وقال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأنعام: 130)، لقد غرتهم الحياة الدنيا بمتاعها وجاهاها وشهواتها، وجعلتهم يحرصون على الرياسة والسلطان على الناس، وأن ينظروا إلى دعوة الأنبياء على أنها دعوة تجعل الضعفاء والفقراء على مرتبة متساوية مع الأغنياء، وأصحاب الرياسة، بل قد يتفضلون

(¹) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (390\21).

عليهم بما رزقهم الله سبحانه من التقوى والصلاح⁽¹⁾، فأدت بهم الحياة الدنيا وزهرتها ونعيمها إلى الكفر بالله سبحانه⁽²⁾.

2. الدنيا تحجب عن أهلها الإخلاص لله سبحانه: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ

نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ (الشورى: 20) يبين الله سبحانه وتعالى لعباده بأن من جعل الدنيا مقصده وغاية

مطلبه، ولم يقدم لآخرته من الإخلاص لله، والسعي لنيل ثوابه، والخشية من عقابه، فإن نصيبه ما سعى له في الدنيا ولا نصيب له في الآخرة⁽³⁾.

ومن ذلك العلماء الذين مالت قلوبهم إلى حب الدنيا والتكالب عليها وإيثارها على الآخرة التي فيها النعيم المقيم، فإن الله سبحانه سيسلبهم ينابيع الحكمة، ويخمد من قلوبهم مصابيح الهدى، فمهما تصنعوا في إظهار التقوى وحسن الكلام، فإن سعيهم مكشوف للعيان، وما ذلك إلا لحرصهم على عمارة دنياهم على حساب آخرتهم⁽⁴⁾.

فمحبة الله سبحانه وتعالى لا تجتمع ولا تدخل في قلب فيه حب للدنيا؛ لأن الله سبحانه إذا أحب عبده اصطفاه واجتباه لنفسه ورزقه الإخلاص في العبادة والانشغال بذكره⁽⁵⁾.

(1) ينظر: رضا، تفسير المنار (94\8).

(2) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ، (494\4).

(3) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 756).

(4) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (64\1).

(5) ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (98\1).

3. الدنيا تُغري أهلها فتنسيهم الآخرة: قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعبًا وَلَهُمْ وَغَرَّتُهُمْ

الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام:70)، لقد غرتهم وفتنتهم الدنيا حتى جعلتهم يؤثرون الدنيا الفانية على

الآخرة الباقية، ودفعتهم إلى إنكار البعث⁽¹⁾.

ولقد حذر الحق سبحانه من غرورها والوقوع في حبها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعَزَّزْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا

يَعَزَّزْكُمْ بِاللَّهِ الْعَزَّوْرُ﴾ (فاطر:5)، فلا ينبغي أن تغرکم الدنيا بملذاتها، ولا ينبغي أن تغتروا بها وإن

دعאתكم لذلك نفس أمارة أو شيطان، بل يجب أن تكونوا من الذين لا يلتفتون إليها⁽²⁾؛ لأن خروج

الدنيا من القلب لا يتم إلا بدخول الآخرة فيه⁽³⁾.

4. ومن شرور حب الدنيا أنها منبع الطمع والحرص: فالذين يحبون الحياة الدنيا تبقى قلوبهم

متعلقة بها وبأهلها، طامعين فيها وفي زخرفها، حريصين على فتاتها، يطاردون سراها، فكلما

رأوا عبدًا من عباد الله في نعمة، وأن الله رزقه في الدنيا حظًا أفضل منهم، حرصوا أن يكون

لهم مثله وزيادة، ومن أمثال هؤلاء، قوم قارون الذين حرصوا أن ينالوا ما ناله من الكنوز، قال

تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ

قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص:79)، لقد تمنى الذين يرغبون في الدنيا، مثل ما أوتي

قارون من الأموال، عندما رآه خارجًا بزينته⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (147/2).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (133/25).

(3) ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب (416/1).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (16/25).

5. الدنيا سبب الغفلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى: إن الدنيا تجعل العبد يغفل عن ذكر الله

وأوامره، فقدّر نصيب العبد من الغفلة، يكون بمقدار نصيبه من حب الدنيا⁽¹⁾، فالدنيا تجعل

صاحبها غافلاً لاهياً، لا تنفع معه موعظة ولا تذكير، كالبدن السقيم، لا ينجح معه طعام، ولا

شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب الذي تعلق بحب الدنيا فليس للمواعظ فيه تأثير⁽²⁾.

ولقد بين الله سبحانه حقيقة الدنيا، فهي قائمة على اللهو واللعب، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الانعام:32)، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد:20).

ثالثاً: عاقبة من بالغ في حب الدنيا:

إن المبالغة في حب الدنيا والانغماس فيها يورد أهلها النار يوم القيامة: قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة:86)، لقد

استحبوا الدنيا على آخرتهم واختاروها، فكان جزاؤهم عذاباً لا يفتر عنهم ساعة واحدة، وليس لهم

ناصر ينقذهم من العذاب الدائم السرمدي، الذي كتب عليهم جزاء اختيارهم وتفضيلهم للدنيا⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۖ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات:37-39)،

إن الذي يقدم الدنيا على الآخرة، ليس له إلا الجحيم مصيراً، والزقوم طعاماً، والحميم شراباً⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب (1/218).

(2) ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر (ت: 458هـ) كتاب الزهد الكبير، تحقيق: عامر

أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط3، (1351).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1/320).

(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (8/317).

المطلب السادس: تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف في اللغة: الأمر: "قول القائل لمن دونه: افعل"⁽¹⁾، وما كان "نقيض النهي"⁽²⁾.

والمعروف: "هو كل ما يُحسن في الشرع"⁽³⁾، أو "كل ما سكنت إِلَيْهِ النَّفْسُ واستحسنته لحسنه، عقلاً أو شرعاً أو عرفاً فَهُوَ مَعْرُوفٌ"⁽⁴⁾.

الأمر بالمعروف في الاصطلاح: "هو إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله"⁽⁵⁾، أو "الإرشاد إلى المرائد المنجية"⁽⁶⁾.

النهي عن المنكر في اللغة: النهي: "ما يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ"⁽⁷⁾، "وما كان خلاف الأمر"⁽⁸⁾.

والمُنْكَرُ: "ما ليس فيه رضا الله من قول أو فعل"⁽⁹⁾، "وكل ما نفرت مِنْهُ وكرهته فَهُوَ مُنْكَرٌ"⁽¹⁰⁾.

النهي عن المنكر في الاصطلاح: "هو تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة، وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى"⁽¹¹⁾، أو "الزجر عما لا يلائم في الشريعة"⁽¹²⁾.

(1) الجرجاني، التعريفات (ص: 37).

(2) ابن منظور، لسان العرب (264).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص: 221).

(4) الكفوي، الكليات (ص: 804).

(5) الجرجاني، التعريفات (ص: 36).

(6) المرجع السابق (ص: 36).

(7) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (359\5).

(8) ابن منظور، لسان العرب (343\15).

(9) الجرجاني، التعريفات (ص: 234).

(10) الكفوي، الكليات (ص: 804).

(11) الجرجاني، التعريفات (ص: 37).

(12) المرجع السابق (ص: 36).

ثانيًا: مظاهر الشر المترتبة على تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أبواب الخير، وبتركهما يعظم الشر ويفشو، ولقد أبان الله سبحانه وتعالى في كتابه بشر المآل في الدنيا والآخرة لمن عطل هذين الواجبين أو سعى بالبطش من القائمين عليهما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾﴾ (الحج: 72)، ففي هذه الآية وصف لحال المشركين عند تلاوة آيات القرآن ذوات الحجج والبيانات عليهم فيبدو على وجوههم الإنكار، والتجهم، والعبوس، والبسور ونحو ذلك مما يدل على الغيظ والحفيظة الكامنة في نفوسهم مما يسمعون من المعروف المتمثل بآيات الله سبحانه.

حتى أن من شدة غيظهم يودون تعطيل هاتين الفريضتين بالبطش والوثب وبسط الأيدي والألسن بالسوء لمن قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽¹⁾، وهذا من أعظم طرق الشر التي يترتب عليها شرور كثيرة، ومنها:

1. انتشار الباطل وحجب الحق: إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع يؤدي

إلى انتشار الباطل فيهم، وحجب الحق عنهم، قال تعالى واصفًا حال اليهود: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة: 78-79)، فهم كانوا لا ينهاون عن المنكر الذي يقوم به بعضهم، مهما

(¹) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (143\17).

بلغ من القبح، وعظم ضرره⁽¹⁾، وهذا دليل على ضعف، أو فقدان الوازع الديني؛ لأنهم بتركهم لهذين الواجبين، قد هان عليهم أمر الله، واستخفوا بمعصيته، وجعلوا الشر يزداد، والمصيبة الدينية والدنيوية تعظم وتفشو، وأصبح لأهل الشر الشوكة والظهور، وأهل الخير عاجزون عن مقاومتهم، لا يقدرّون على ما كانوا يقدرّون عليه أولاً، ولو أنهم كانوا معظمين لله لغاروا لمحارمه، وغضبوا لغضبه، وما تجرّأ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي؛ لأنهم سيجدون رادعاً يردّهم⁽²⁾.

والأمة التي يقوم أفرادها على نصيحة بعضهم البعض من دعوة، وأمر، ونهي فإن الشر والمنكر يقل انتشاره بينهم، ويستقرّ الخير والمعروف فيهم⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج:40)، فلولا ما فرضه الله عز وجل على عباده الأتقياء، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ لهدمت الشرائع، وكل موضع يعبد الله فيه⁽⁴⁾.

2. **الفرقة والاختلاف:** إن الناس الذين يتركون دعوة الخير، ويسكتون على ارتكاب المعاصي والمنكرات، فإنهم يخرجون عن معنى الأمة، ويصبحون أفاذاً متفرقين، ليس لهم جامعة تجمعهم⁽⁵⁾، وهذا ما حدث عند أهل الكتاب، وحذر الله أهل الإسلام من الوقوع فيه، قال جلّ شأنه: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (171\6).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (240\1).

(3) ينظر: رضا، تفسير المنار (24\4).

(4) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (30\4).

(5) ينظر: رضا، تفسير المنار (29\4).

الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ (آل عمران: 104-105)، إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم وأصبحوا شيعاً، يعادون

ويقاتلون بعضهم البعض.

وسبب فرقتهم واقتتالهم، هو عدم وجود أمة فيهم تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعتصم بحبل الله وتتجه إلى غاية واحدة، فحذر الله سبحانه وتعالى المسلمين، من أن يكونوا مثلهم فيحل بهم مثل ما حل بأهل الكتاب⁽¹⁾، وأرشدهم إلى ما يحفظ وحدتهم ويزيد من اجتماعهم، ولا يكون ذلك إلا بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽²⁾.

3. الحرمان من استجابة الدعاء: إن الدعاء يستجاب بطاعة الله، والقرب منه، وبمعصيته يحرم

المرء من الاستجابة، ويطرده من رحمته، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كبيرة من الكبائر التي تحجب الدعاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"⁽³⁾. والمعنى أن أحد الأمرين واقع عليكم، فإما تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر، وإما أن ينزل الله عليكم عذاباً شديداً، ثم تدعونه أن يدفعه عنكم فلا يستجيب لكم⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (24/4).

(2) ينظر: رضا، تفسير المنار (24/4).

(3) الترمذي سنن الترمذي، أبواب: الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث (2169) (468/4)، قال الألباني فيه: حديث حسن، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث (7067)، (1189/2).

(4) القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت: 1014هـ) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م، (321/8).

ثالثاً: العقوبة المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1. استحقاق اللعن: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ

فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة: 78-79)، لقد استحقوا اللعن من الله سبحانه؛

بسبب تركهم النهي عن المنكر لكل عاص يريد إعادة معصية قد فعلها، أو تهيأ لفعلها، فالعصيان

والاعتداء قام بترك التناهي عن المنكر؛ لأن من أخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله

سبحانه وتعدى حدوده⁽¹⁾، ولقد استحق اللعن كل من العاصين والساكتين عنهم⁽²⁾.

2. استحقاق العذاب العام في الدنيا: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنفال: 25)، إن الفتنة المقصودة

في هذه الآية: هي إقرار المنكر وترك التَّغيير له ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين ألا يقرّوا المنكر

بين أظهرهم وإلا عمَّهم الله بالعذاب، الذي لا يقتصر وقوعه على الظَّالمين دون غيرهم، بل يقع

على الصالحين والطارحين⁽³⁾.

3. حلول سخط الله عز وجل في الآخرة: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: 6)، وهنا أمر من الله سبحانه للمؤمنين بأن يعملوا

(1) ينظر: القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ) فتح البيان في

مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412هـ-1992م، (31/4).

(2) ينظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3220\8).

(3) ينظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (436\1).

الأعمال الصالحة، وأن يفعلوا الأوامر، ويجتنبوا النواهي، ويأمرُوا أهليهم بها، ويلزموهم الطاعة والعبادة؛ لينتقوا بذلك النار⁽¹⁾.

فجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط لدخول الجنة، ومن يتركهما يستحق النار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحج:72)، فقد بين الحق سبحانه أن مصير الذين ينكرون على أولياء الله -الأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر- ويسعون في تعطيل الحق والصدع به بأن لهم شراً أعظم مما أرادوا إلحاقه بالتالين عليهم آيات الله، وهذا الشر هو النار التي وعدها العظيم الجليل جزاء لهم على ما هموا به من عبوس وإعراض وبطش بالأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن الخطيب، أوضح التفاسير (ص:696).

(2) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (94\13).

الفصل الثالث

كيفية النجاة من الشر

إن المؤمن الذي غايته رضا الرحمن، والفوز بالجنان، والنجاة من النيران لا بد له من معرفة السبل والطرق المنجية من الشر، كي يكون في مأمن ومنجى، وفي هذا الفصل عرض لستة منجيات تقي المرء من الوقوع في الشر، تم تقسيمها على ستة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: العلم بالشر

المطلب الأول: تعريف العلم:

1. العلم في اللغة: "ضَدَّ الْجَهْلُ"⁽¹⁾، "وما يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ"⁽²⁾.
2. العلم في الاصطلاح: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو إدراك الشيء على ما هو به"⁽³⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها العالم بالشر:

إن العلم مفتاح النجاة من كل شر وسوء، فلا نجاة من الشر إلا بمعرفته؛ لأن الذي قصر معرفته على الخير قد يأتيه الشر ولا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما ينكره الذي عرفه⁽⁴⁾.

(1) ابن دريد، **جمهرة اللغة** (948/2).

(2) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (109/4).

(3) الجرجاني، **التعريفات** (ص: 155).

(4) ينظر: ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد (ت: 1233هـ) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط1، 1423هـ-2002م، (ص: 87).

فالذي ينشأ في المعروف، ولم يعرف غيره، قد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم، ولهذا يتحقق ويتيسر الاحتراز من الشر عند الخبير به وبأسبابه إذا كان حسن القصد؛ دون غيره من الجهال⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، قد بين الله لنا أن تمييز الخير من الشر لا يتبين إلا لمن علمهما، فالجاهل بعواقب الأمور وخواتيمها يؤدي به جهله إلى حب أمر عاقبته شر له، وأن يكره أمرًا عاقبته خير له، ولو علم الشر من الخير للزم الخير⁽²⁾، وقد وصف الله سبحانه أهل الكفر بشر من دب على وجه الأرض لشدة جهلهم بالشر الذي أدى بهم إلى العدول ينفعهم ويأتي لهم بالخير العظيم، حيث أنهم لم يعملوا وسائل العلم بل أهملوها فوصفهم الله بالصم البكم، لأنهم قوم لا يعلمون بالشر ولا يعقلون مآله، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الانفال: 22)⁽³⁾، فالعلم بالشر حصن ومنجاة من كثير من الشرور، ومن هذه الشرور:

1. الخروج من الظلمات إلى النور، ومن الكفر والشرك إلى الإيمان بالله وحده: قال تعالى: ﴿قُلْ

أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ عِبَادًا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 64)، فهؤلاء المشركون طالبوا نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، أن يشرك بالله سبحانه، ويجعل له ندًا ومثيلاً، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، فوصفهم سبحانه بالجهل؛ لأن الذي زين لهم عبادة غير الله سبحانه،

(1) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (301\10).

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (113\2).

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (469\15).

والتعصب لعبادة الأوثان والأصنام، هو جهلهم بالله سبحانه وبِعَظَمَتِهِ⁽¹⁾، ولو أنهم علموا شر ما دعوا إليه ما تجرؤوا على طلب كهذا، ولكن الجهل بالشر يورد المهالك لأهله.

ولهذا كان لابد من العلم قبل الشروع بالعمل، حتى يبقى المرء في نورٍ وهدى من أمره، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد:19)، فدلّت هذه الآية على عدة أمور لفضل العلم، منها: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، فالعلم بها يظهر نقصها من جميع الوجوه، فهي فقيرة بذاتها، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينفعون من عبدهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو، وبطلان إلهية ما سواه⁽²⁾.

2. **النجاة من المعاصي والفواحش:** فكلما ازداد الإنسان علما بالله سبحانه وبِعَظَمَتِهِ وقدرته، زاد خشية له وتعظيما، ومن زادت خشيته لله سبحانه حرص ألا يراه سبحانه على معصية، وكان من أبعد الناس عن الشر، وعن كل ما يغضب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:28)، بينت هذه الآية أن أكثر الناس خوفا وخشية لله هم أعلم الناس به وهم العلماء، فتراهم يتقون عقابه بطاعته؛ لعلمهم بقدرته على ما يشاء، وأنه يفعل ما يريد، وأنه يعذب على معصيته؛ فيخافونه ويرهبونه؛ خشية منه أن يعاقبهم⁽³⁾.

والعلم بالله والخشية منه في علاقة طردية، فكلما ازداد العبد بالله سبحانه علما، ازداد منه خوفا وخشية، ومن كان علمه بالله أقل كان آمنا⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (465\4).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:787).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (462\20).

(4) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (610\3).

فالعصيان، وارتكاب الفحش، والمعاصي العظام، لا يصدر إلا من جهال، إما بجهل ذات المعصية، وإما بجهل عقابها، ومصير فاعلها، ولهذا يظهر العصيان غالباً في المجتمعات التي يسود فيها الجهل، ويقل العلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُثَبَّتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْحَمْرُ، وَيُظْهَرَ الرِّثَا"⁽¹⁾.

فهذه المنكرات والشرور ما ذاع انتشارها إلا بقلّة العلم واضمحلاله عند أصحاب الفجور والعصيان، وهذا خلاف من علم الشر وعلم مراد الله منه؛ لأن أشد الناس لخالقهم خشية أعلمهم به.

ولهذا قيد النبي صلى الله عليه وسلم شدة الخشية واجتتاب المعاصي بالعلم، فقال: "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"⁽²⁾، ومعنى ذلك لو أنكم تعلمون عظم الله سبحانه وتعالى، وشدة عقابه لأهل الجرائم والمعاصي، وما ينتظرهم من أهوال يوم القيامة، وما بعدها كما علمت، ولو أنكم رأيتم النار وجحيمها كما رأيتم في مقامي هذا وفي غيره، لكثرت بكاؤكم، وقل ضحككم لكثرة فكركم، وانشغالكم فيما علمتم⁽³⁾.

3. النجاة من التقليد الأعمى للأباء والأجداد، وعبادة الله على بصيرة: قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ

سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: 108)، إن عبادة الله سبحانه وتعالى

لا تكون إلا على حجة واضحة، وأدلة قاطعة، وبراهين ساطعة، وليست قائمة على التقليد الأعمى

(¹) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، رقم الحديث (80)، (27\1)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، رقم الحديث (2671)، (2056\4).

(²) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: أبواب الكسوف، باب: الصدقة في الكسوف، رقم الحديث (1044)، (34\2)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: توقيره صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم الحديث (2359)، (1832\4).

(³) ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392 (201\6).

الذي يدل على الغباء والجمود، المبني على ضلال التقليد، الذي يبقى صاحبه في غفلة هُدًى للحتوف⁽¹⁾.

فكم من عابد تعبد وتنسك، إلا أن جهله جعل من عبادته عبادة لا خير فيها في ميزان الله؛ لمخالفتها مراد الله عز وجل، وهذا خلاف العالم الذي يتقرب إلى الله سبحانه بما أراد وشرع، فتكون عبادته عبادة صحيحة، يبتغى فيها مرضات الله سبحانه، ويرى أثرها ونفعها عند الله.

4. النجاة من الذل والمهانة إلى الرفعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: 11)، إن الله يرفع من منزلة الذين آمنوا يوم القيامة بشكل عام، ويرفع العالمين منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة⁽²⁾؛ لأن الله عز وجل جعل درجات العلماء تلي درجات الأنبياء، ودرجات أصحابهم، فهم ورثتهم، بأخذهم العلم وبيانه للأمة، والذب عنه، وحمايته من تخريف الجاهلين وانتحال المبطلين⁽³⁾.

5. العلم بالشئ يزيد المرء صبراً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

خُبْرًا﴾ (الكهف: 68)، وهنا تنبيه وإشارة من الخضر لموسى عليهما السلام من أن الصبر التام، لا يكون إلا بعد العلم، والإحاطة بالشئ، وذلك أمر لا يتم إلا بفيض إلهي⁽⁴⁾.

6. النجاة من الانكباب خلف حطام الدنيا الفانية والانشغال بالآخرة الباقية: قَالَ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا

أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَجْبَحَ الْكُفَّارَ

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (242\10)

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (15\28).

(3) ينظر: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ) شرح صحيح البخاري تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ-2003م، (113\1).

(4) ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (508\2).

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا^ط وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ^ع
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ (الحديد: 20)، إن الله سبحانه وتعالى يخبر عباده بأن
يعلموا حقيقة هذه الدنيا وما هي عليه، ويبين لهم غايتها وغايتها أهلها، فهي قائمة على اللعب
بالأبدان، واللهو بالقلوب، تجعل أهلها يسعون لنيل زينتها الفانية، والتفاخر بأموالهم وأولادهم فيما
بينهم؛ لجهلهم بقرب زوالها، وهذا خلاف للعالم بها وبحقيقتها، فهو يجعلها معبراً لا مستقراً،
فيحرص على التنافس فيما يقربه إلى الله، ويوصله إليه، وإذا رأى من يكثره وينافسه بالأموال
والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة؛ لعلمه بقرب زوالها، وحقارتها⁽¹⁾.

المطلب الثالث: سبل تحصيل العلم:

1. تقوى الله والابتعاد عن معصيته: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ
لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ^ك وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ (الأنفال: 29)، يأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بتقوى الله في كل ما يأتون ويزنون،
وأن يجتنبوا معصيته؛ حتى يجعل لهم فرقاناً، وهداية، ونوراً في قلوبهم، يفرقون به بين الحق
والباطل⁽²⁾.

2. الإخلاص للحق سبحانه في طلب العلم: إن عبادة الله سبحانه لا تكون إلا على علم وبصيرة،
ولا بد لهذا العلم أن يكون خالصاً لله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ^ع وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ (البينة: 5).

(¹) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 841).

(²) ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (1845).

3. العمل بالعلم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ

بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ (البقرة: 63)، أي: "خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا

من الفرائض، فاقبلوه، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان" (1).

4. الصبر في طلب العلم: قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا

﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ (الكهف: 66-69)، "وفي هذا دليل على أن أهم ما

يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم" (2).

فهذه من أبرز السبل التي من خلالها يحصل المرء على العلم ويصبح من الراسخين فيه.

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (161\2).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (373\15).

المبحث الثاني: تقوية الإيمان بالله سبحانه والاعتصام به

المطلب الأول: تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة: "التصديق بالقلب"⁽¹⁾، "والتقّة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة"⁽²⁾.

الإيمان في الشرع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي⁽³⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها المؤمن بالله سبحانه:

إن مقدار اجتناب الشر، واتباع الخير يكون بمقدار قوة الإيمان وارتفاعه؛ لأنه أساس كل عمل، والمحرك والباعث إليه؛ لأن "الإيمان بالله يقتضي محبته وخشيته وتعظيمه وطاعته بامتثال أمره وترك نهيه، وكذلك الإيمان بالكتب يقتضي العمل بما فيها من الأمر والنهي"⁽⁴⁾.

وقد أعلم الله سبحانه في كتابه عن جزاء الكفار الذين كرهوا الإيمان بالله، بأن لهم حالين: فأما الحالة الأولى فوصفهم بأنهم شر الخلائق، والثانية بأن لهم النار خالدين فيها، فهي شر مآل وعقاب، ثم أخبر سبحانه عن كيفية النجاة من هذه الشرور، وذلك بالإيمان والاعتصام بالله سبحانه، فينال بذلك المؤمن الوصف الحسن بأن يكون من خير الخلق، وأن مصيره الجنان خالداً فيها أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦﴾

(1) الجرجاني، التعريفات (ص:40).

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (1176\1)، والكفوي، الكليات (ص: 212).

(3) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (330\7).

(4) التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (ت: 1285هـ)، الإيمان والرد على أهل البدع، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، (ص:3).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَظِيَ رَبُّهُ ۗ ﴿٨﴾ (البينة: 6-8) (١).

وبهذا ينجو المرء من الشرور التي تعتريه وتواجهه، ومن هذه الشرور:

1. النجاة من ترك تحكيم شرع الله سبحانه: إن المؤمن الذي كمل إيمانه ينشرح صدره لحكم الله

ورسوله من أول وهلة؛ لعلمه أنه الحق الواضح، وأن الخير كله فيه، والسعادة في الإذعان لأمر

الله ورسوله، بخلاف ضعيف الإيمان أو من لا إيمان له (٢)، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ۖ﴾ (النساء: 65)، إن الله سبحانه يقسم بربوبيته لرسوله، بأن كل من رغب عن حكمك

فهو لم يؤمن إيمانًا حقًا؛ لأن الإيمان قائم على الإذعان والانقياد (٣).

2. البعد عن الكفر والشرك بالله: قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ۖ﴾ (المتحنة: 4) إن الله سبحانه

وتعالى يأمر المؤمنين بالافتداء بإبراهيم والذين آمنوا معه، الذين فاضت قلوبهم بالإيمان الراسخ،

الذي جعلهم يقولون لقومهم إنا كفرنا بكم، وجدنا بما أنتم عليه من الكفر، وأنكرنا آلهتكم التي

تعبدون من دون الله سبحانه، ولا نعتد بكم ولا بما عبدتم، وقد أعلننا عليكم الحرب؛ لشرككم بالله

سبحانه (٤)، فهذا قول المؤمنين أظهروا العداوة والبغضاء للكفار الذين أشركوا بالله سبحانه، وما

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (246\32).

(٢) ينظر: رضا، تفسير المنار (191\5).

(٣) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (81\5).

(٤) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (66\28).

دفعهم لذلك إلا سلامة إيمانهم وكرههم للكفر والشرك وما يوصل إليهما؛ لأن الإيمان إذا تعلق بالقلب وسكنه فإنه سيكره الكفر والشرك، اللذان هما رأس الشر.

3. **النجاة من المعاصي ومن ارتكاب الفواحش:** إن المؤمن يحرص على دخول الجنان، ولن يكون له ذلك إلا بطاعة الله، واجتناب معصيته، ولهذا قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح، الذي به اجتناب المعاصي والفواحش، فإنها لا تعود على المرء إلا بالشر الكبير، فكمال الإيمان ودليله العمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ (الكهف: 107).

4. **النجاة من الجزع والسخط والقلق والاضطراب عند الشدائد:** إن قلب المؤمن الذي وحد الله سبحانه، وآمن به حق إيمانه، ساكن مطمئن لقربه بربه وخالفه، فنبينا إبراهيم عليه السلام كان أكثر الناس أمناً واطمئناناً، رغم تهديد قومه وعدائهم الشديد له، قال تعالى مبيناً حوار إبراهيم مع قومه: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ﴾ (الأنعام: 80)، فإبراهيم يصارح قومه بأنه لا يخاف، ولا يبالى بآلهتهم التي يعبدونها، فهي لا تؤثر شيئاً به، ثم يقول لهم بكل ثقة ويقين: إن كان لها صنع كما تزعمون فكيديني بها جميعاً، وعاجلوني بذلك، وسبب ذلك؛ إيمانه بأن الله وحده الذي بيده الضر والنفع⁽¹⁾.

5. **النجاة من فتنة الاقتتال والتناحر:** قال تعالى مرشداً المؤمنين عند اضطراب الفتن والأحقاد بين صفوفهم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ﴾ (الحجرات: 9) إن الله سبحانه وتعالى يرشد أهل الإيمان في حال حدوث قتال بين طائفتين منهم، فعليهم أن يصلحوا بينهما بالدعوة

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (29313).

إلى حكم الله والرضا بما فيه، سواء كان لهما أو عليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل⁽¹⁾، ولا يتم ذلك إلا بإيمان راسخ بالله واعتصام وثيق به سبحانه.

6. **النجاة من الحقد والغل:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: 10)، استوعبت هذه الآيات جميع المؤمنين والتي من صفتهم وشأنهم، أن يذكروا السابقين لهم من أهل الإيمان بالدعاء والرحمة، ومن كان على غير ذلك، أو ذكر المؤمنين بسوء، فهو خارج من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية⁽²⁾.

7. **النجاة من الشح والبخل:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: 67)، فالمؤمنون لا ينفقون أموالهم في معصية الله، ولا يمتنعون حقًا من حقوقه، فهم يخرجون حق الله سبحانه وتعالى في أموالهم؛ ابتغاء طاعته، ويكفون عن محارمه⁽³⁾.

8. **اجتناب الموالاة لغير الله سبحانه:** قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 28)، بين الله سبحانه وتعالى أنه مالك الدنيا والآخرة، فأوجب أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه، وحذر من الرغبة فيما عند أعدائه⁽⁴⁾، ولا يستقيم هذا المعتقد إلا في قلب عامر بالإيمان بالله.

9. **النجاة من القنوط واليأس من دخول الجنة والنجاة من النار:** إن الله سبحانه لا يعذب أحدًا في ناره ظلمًا، ولقد وعد سبحانه المؤمنين بالجنة، والنجاة من النار إن هم آمنوا والتزموا بإيمانهم،

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (130\26-131).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (509\29).

(3) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (156\4).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (191\8).

والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: 25).

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشَّر: هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن يقوم مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات التي جعلها الله عز وجل موصوفة بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان المقرون بالعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذه أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب⁽¹⁾.

المطلب الثالث: طرق تقوية الإيمان وترسيخه:

في هذا المطلب عرض لبعض الطرق التي تزيد الإنسان إيمانًا و يقينًا بالله سبحانه، وهي:

1. طلب العلم الشرعي: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء: 107)، يخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين يعلمون كتابه هم أكثر الناس إيمانًا وخشية له، فعلماء أهل الكتاب ممن طلبوا العلم لله سبحانه إذا عُرض عليهم القرآن عرفوه، وخرُّوا لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا، ومجدوا الله سبحانه، ونزهوه من كل نقص⁽²⁾.

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 46).

(2) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم (332/2).

2. التفكير في الكون: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190)، دلت الآية على وجوب التفكير في خلق الله سبحانه وتعالى

كالسَّمَوَاتِ والأَرْضِ والليل والنهار؛ بهدف زيادة، وتقوية الإيمان، واليقين بالله سبحانه وتعالى (1).

3. التأمل في سير الأنبياء عليهم السلام: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَى الْأَلْبَابِ

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111)، يُخبر الحق سبحانه وتعالى عن قصص وسير الأنبياء والمرسلين،

وكيف أنجا الله سبحانه عباده المؤمنين، واهلك شرار الخلق الكافرين، فجعل في ذلك عبرة وعظة

لعباده المؤمنين، وهداية لقلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد (2).

(1) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (428\1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (427\4).

المبحث الثالث، الاستعاذة بالله من الشر

المطلب الأول: تعريف الاستعاذة:

الاستعاذة في اللغة: تأتي من اللوذ بمعنى اللجوء والاعتصام⁽¹⁾.

الاستعاذة في الشرع: "هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر، والعيادة تكون لدفع الشر"⁽²⁾.

وعرفها ابن القيم بأنها: "ما يقوم به القلب من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل بين يديه"⁽³⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي تُدفع بالاستعاذة:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ (الفلق: 1-5)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾ (الناس: 1-6) فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ومن بعده أمته بالمحافظة على الفاظ محتواها الاستعاذة بالله من شر كل مخلوق فيه شر، ومن شر الأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يتستر بها أهل الشر، ثم خصص الاستعاذة من شر السحرة الذين أقاموا صنعتهم على إرادة الشر، ومن شر أناس اتصفوا بخلق الحسد الذي من شأنه أن يبعث على الحاق الضرر بالمحسود، وبهذا قد تم الاستعاذة

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (498\4).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (114\1).

(3) ابن القيم، بدائع الفوائد (201\2).

من شر المخلوقات الظاهرة كالحيوان وما يقوم به الناس من شرور، وأما في السورة الناس فكانت الاستعاذة من المخلوقات الخفية وهي الشياطين التي غايتها بث الوسوسة في نفس المغرور كي يقع في فخاخها، ووسوستهم كاتصالات تجذب النفوس نحو داعية الشياطين، مع الإشارة إلى وسوسة النفس الآدمية والخواطر الشريرة التي تخطر بها⁽¹⁾.

ومن الشرور التي ينجو منها المسلم عند استعاذته بالله، وقد جاءت مفصلة في آيات أخرى:

1. النجاة من المتكبرين عن الحق، الذين يبنون سمومهم بالجدال الخالي من العلم: قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 56)، إن الله سبحانه وتعالى يأمر عبده ونبيه بأن يلجأ إليه، من شر وكيد من يجادله، ويريد الكيد له، فالله سبحانه وتعالى نافذ الحكم عليهم وسيصونك من مكرهم وكيدهم⁽²⁾.

2. النجاة من بطش الجبابرة والظلمة المنغمسين في الطغيان: ومن ذلك قصة موسى مع فرعون

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: 27)، وذلك عندما عزم فرعون على قتل نبي الله موسى، فبلغ الأمر لموسى فما كان منه إلا أن استجار بالله وعاذ به من شر فرعون وشر أمثاله⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (30\627-630).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (27\526).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7\139).

والنبي صلى عليه وسلم كان إذا خاف قومًا، قال: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ" (1).

3. النجاة من الوقوع في الفحشاء: ومن ذلك قصة يوسف مع امرأة العزيز حينما راودته عن نفسه، قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23)، لقد خادعت امرأة العزيز يوسف عن نفسه وراوغته، لتتال ما أرادت منه، مُخالفة بذلك إرادته وإرادة ربه، حيث أحكمت إغلاق الأبواب، وقالت له هلمّ أقبل، ولقد لجأت إلى الإغراء والتهيج وما يقتضي إليه الحال، فما كان من نبي الله إلا أن قال: إني أعوذ بالله عز وجل، وألتجئُ إليه مما تريدين مني، فهو يعيذني أن أكون من الجاهلين (2)، فاستجاب الله سبحانه، وما قام به يوسف عليه السلام من اللجوء إلى ألطاف ربه، هو مسلك المرسلين وسبيلهم من قبله، في فزعهم إلى مولاهم ليُغدق عليهم بالخيرات، ويبعد عنهم الشرور والموبقات، وإظهارهم أن لا طاقة لهم إلا بمعونته سبحانه مبالغة في استدعاء لطفه وعظيم كرمه ومنه (3).

(1) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا خاف قومًا، رقم الحديث (1537)، (89\2) قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (4706)، (8592).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (29\12).

(3) ينظر: المرجع السابق (142\12).

المبحث الرابع: الصبر

المطلب الأول: تعريف الصبر:

الصبر في اللغة: "نقيض الجزع، وأصله الحبس"⁽¹⁾.

الصبر في الاصطلاح: "فهو حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"⁽²⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها الصابر:

إن الصبر ضرورة دينية ودنيوية به ينال المرء الخير في الدنيا والآخرة، وبه ينجو من شري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان: 11-12) يبين الله سبحانه بأن الذين يصبرون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى المحن والشدائد، والجوع مع الإيثار فإنه سينجيهم من شر يوم القيامة الذي من علامات شره تكور الشمس، وخسوف القمر، وانتشار الكواكب، وطي السماوات كطي السجل، وقلع الجبال، وطم الأنهار، وخراب النبات⁽³⁾، وهذا خلاف من لم يتصف بالصبر، قال تعالى فيه: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝﴾ (المعارج: 20)، فالإنسان الذي اتصف بعدم الصبر إذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما، فإنه يبالغ في الجزع ويكثر منه⁽⁴⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب (438/4).

(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (371/3).

(3) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن (117/6).

(4) ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود (32/9).

ولقد كثر ذكر الصبر في القرآن الكريم موازنة مع غيره من المواضيع، وبهذا يظهر لنا وجوب الصبر ومدى أهميته في دفع الشرور، ومنها:

1. النجاة من غضب الله سبحانه والظفر بمحبته: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران: 146، لقد نالوا محبة الله سبحانه لعظيم قدرهم عنده، وما نالوا تلك المرتبة، إلا لصبرهم على تحمل الشدائد في طريق الله، ولم يظهروا الجزع والعجز والهلع، وحب الله لهم بإكرامهم وتعظيمهم والحكم لهم بالجنة⁽¹⁾.

2. النجاة من خسران معية الله سبحانه، والهزيمة أمام الأعداء: إن المؤمن الصابر يفوز بمعية

الله سبحانه في كل وقت وحين، وينال نصر الله سبحانه ومده، وإن قل العدد والعدة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 249)، إن الله سبحانه يؤيد الصابرين بالنصر والمعونة؛ لما لهم عنده من المعية⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّن

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: 125، لقد قيد الله سبحانه تعجيل النصر، وتيسر الفتح للمؤمنين بصبرهم وتقواهم⁽³⁾.

3. النجاة من خسران الأعمال الصالحة: فالصابر يوفق للقيام بالأعمال الصالحة، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (381\9).

(2) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (302\1).

(3) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (411\1) وينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (289\1).

الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (القصص: 80)، إن الذين يوفقون للأعمال الصالحة الذين يصبرون على

الطاعات التي أمر الله بها، وعلى ترك المعاصي التي نهى الله عنها⁽¹⁾.

4. النجاة من الانتقام والسعي للنيل من الخصوم: فالصبر يساعد الإنسان على العفو وترك

الأحقاد، كما يساعد الصابر على كسب خصمه، وإصلاحه والظفر به وبأجره، قال تعالى: ﴿وَلَا

تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت: 34-35)، إن

الصابر يرضى على نفسه بتحمل المكاره، وتجرح الشدائد، فهو أكثر الناس تركًا للغیظ، وأبعدهم

من السعي للانتقام من المسيء⁽²⁾.

فهو يقابل الإساءة بالإحسان، رغم أن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه،

فكيف بالإحسان فإن في ذلك درسًا للمسيء، ودافعًا له لمراجعة أمره؛ لما يراه من حسن معاملة من

يقع عليه ضرره.

5. الصبر ينجي المرء من ترك الانتفاع من الآيات والعبر: إن الصابر ينتفع ويعتبر ويتعظ من

كل آية أوجدها الحق سبحانه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ

مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ (لقمان: 31)، إن هذه الآيات لا يدركها ولا

يعتبر بها إلا من صار الصبر صفة مجبولة فيه؛ لكثرة تمرسه له⁽³⁾.

(1) ينظر: الخطيب، أوضح التفاسير (ص: 479).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (295\24).

(3) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (3992\8).

6. النجاة من ضعف الدين وقلة العلم: إن قوة الدين في النفس، وتحصيل الإمامة فيه، والرسوخ

في العلم بحاجة إلى صبر عظيم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24)، لقد جعلنا منهم أئمة يوقعون البيان ويعملون على حسبه؛ لصبرهم على قبول أوامرنا⁽¹⁾، وصبرهم على دنياهم، لأن الرجل لا يكون إمامًا يقتدى به حتى يترفع عن الدنيا⁽²⁾.

7. النجاة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن الصبر سلاح الداعية إلى الله سبحانه،

فلا يقوى على تحمل أذى الدعوة إلا به، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24)، إن صبرهم على أوامر الله، وتركهم لنواهيه وزواجره، وتصديقهم رسله واتباعهم فيما جاؤهم به، كان السبب في أن جعل الله سبحانه وتعالى منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمره، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر⁽³⁾.

8. والصبر فيه نجاة من المرهوب والفوز بالمطلوب: فلا تنال الجنان، ولا يكون المرء بحر من

النيران إلا بالصبر، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان: 11-12)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: 22-24)، إن الملائكة يدخلون على أهل الجنة يبتشون فيهم الاطمئنان،

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (266\15).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (371\6).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (371\6).

ويبشرونهم بطيب الإقامة، وذلك؛ بسبب صبرهم في الجهاد، وصبرهم على الطاعات، وتجنبهم للشهوات، وتحملهم للمكاره، والبعد عن الأحبة⁽¹⁾.

(¹) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (393818).

المبحث الخامس: الدعاء

المطلب الأول: تعريف الدعاء:

الدعاء في اللغة: "الغوث"⁽¹⁾، "والتضرع"⁽²⁾، "والرغبة إلى الله"⁽³⁾.

الدعاء في الاصطلاح: "استدعاء العبد ربه - عز وجل - العناية، واستمداده إياه المعونة، وإظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي يصرفها الدعاء:

إن للدعاء فوائد جمة في صرف الشرور، وقد حث الله سبحانه عباده بالتضرع والافتقار بين يديه، وأبان أحوال أهل الكفر عند دعائهم الله سبحانه، قال تعالى واصفًا أحوالهم ومحذرًا من صفة دعائهم:

﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْثُ فَنُوحًا﴾ (فصلت: 49)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا

أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: 51)، وقال

تعالى: ﴿وَإِذَا أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: 83)

يخبر الله عباده المؤمنين بصفات الذين لم يتصفوا بالنهج القويم والطريق السديد، بأنهم على ثلاثة

ضروب: فأولهم دائم الطلب لخير الدنيا دون الآخرة عند الإنعام عليه، وعندما يمسه الشر المتمثل

بالفقر والمرض والضر ونحوهما فإنه ييأس ويقنط من فرج الله ورحمته، وأما الثاني فصفته التكبر

(¹) الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتّي (ت: 986هـ) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387هـ-1967م، (176/2).

(²) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (657/2).

(³) الكفوي، الكليات (ص: 447).

(⁴) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ) شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الذقاق، دار الثقافة العربية، ط3، 1412هـ-1992م، (ص: 4).

والإعراض عن دعاء الله ومسأله عند حلول الخير عليه، وأما عند وقوع الشر به فإنه يكثر من الدعاء والسؤال طمعاً في تحصيل الخير في الدنيا دون الآخرة، وأما الصنف الثالث فإنه معرض متكبر عن الدعاء والتضرع بين يدي الله سبحانه سواء أصابه الخير أم أصابه الشر والضرر، وفي ذلك إشارة وإرشاد للمؤمنين بأن يلزموا الدعاء في جميع أحوالهم سائلين الله نيل الخير في الدنيا والآخرة، والنجاة من الشر في الدنيا والآخرة، من غير أن يسأموا ولا يقنطوا مهما دار بهم الزمن، وتغيرت بهم الأحوال؛ لعلمهم بأن الدعاء منجاة من كثير من الشرور⁽¹⁾، ومن هذه الشرور:

1. النجاة من البعد من رحمة الله سبحانه: فالعبد الذي يتقرب إلى الله بالدعاء المصحوب

بالإيمان، فإنه ينال قرب الله منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186)، إن الله سبحانه أبان بلطفه وكرمه ورحمته، أنه قريب من عباده، مطلع على ذكركم وشكرهم، سميع لندائهم، مجيب دعائهم، ولا يخيب رجاءهم⁽²⁾، وفي ذلك إشارة إلى الحث على الدعاء، وأن العبد ينال قرب الله منه بدعائه.

2. النجاة من قلة الذكر والثناء على الله سبحانه: إن الدعاء يجعل المؤمن يكثر الثناء على الله

سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186)، إن سياق الآيات لهذه الآية ابتدأ بأمر الله سبحانه لعباده بالتكبير أولاً، ثم الترغيب لهم بالدعاء، وفي ذلك إشارة إلى أن الدعاء لا بد أن يسبق بالثناء الجميل، ومن ذلك ما فعله إبراهيم عليه السلام حينما أراد أن يدعو

(1) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (96/9).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (260/5).

الله سبحانه، فقدم الثناء على الدعاء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (الشعراء: 78)

إلى قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: 82)، وكل هذا ثناء على

الحق سبحانه ثم شرع بعده بالدعاء فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّ

بِالْصَّالِحِينَ﴾ (الشعراء: 83)⁽¹⁾.

والدعاء في ذاته ذكر وثناء على الله، والمؤمن الذي يكثر الدعاء لا بد أن يكون كثير الثناء والذكر لله سبحانه حتى يتقبل منه دعاءه.

3. النجاة من حرمان تحقيق التوبة: إذا أذنب العبد وأسرف في الذنوب والمعاصي، وأراد التوبة

وسأل هل يقبل الله توبتي؟ فإن جواب مراده قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186)، فإن الله سبحانه قريب من عباده بالنظر إليهم،

والتجاوز عنهم، وقبول توبتهم، وما عليهم إلا الدعاء والتضرع لله سبحانه مع اليقين بالاستجابة وحصول التوبة وما يريدونه⁽²⁾.

4. النجاة من البعد عن الطاعات: إن المؤمن الذي من ديدنه الدعاء في كل ملمة تصيبه يكون

حريصاً على طاعة الله، وإظهار عظمته وكبريائه؛ لأن الداعي يرى نفسه في مقام الذلة،

والحاجة، والفقر، والمسكنة أمام خالقه الذي اتصف بالجلال، والعظمة، والكبرياء، والاستغناء،

والتعالي⁽³⁾، قال صلى الله عليه وسلم: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (260\5).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (262\5).

(3) ينظر: المرجع السابق (119\7).

(4) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: تفرع أبواب الوتر، باب: الدعاء، رقم الحديث (1479) (76\2)، قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث: (3407) (641\1).

وإذا أراد العبد استجابة لمراده فعليه بالاستجابة لمراد الله، والعباد الذين يلتزمون بمنهج الله لن يسألوا الله شيئاً يتنافى مع الإيمان وتكاليفه⁽¹⁾.

5. **النجاة من الكبر:** إن العبد الذي يكثر الدعاء يتجرد من خصلة الكبر، ويصبح التواضع شأنه في جميع حياته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60)، إن الله عز وجل دعا عباده إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وهو أن يتقربوا إليه بالدعاء، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، ثم وصف من يترك الدعاء بأنه مستكبر على عبادة خالقه، وتوعده بالذل، والإهانة، والخزي، والعذاب الأليم؛ جزاءً على استكباره⁽²⁾.

6. **النجاة من النار:** قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60)، أمر الله عباده بالدعاء والتضرع إليه، ووعدهم باستجابة دعائهم، وتوعد الذين يستكبرون عن عبادته بتركهم دعاءه، وتجنبهم التضرع بين يديه، بأن يذلهم، ويهينهم، ويعذبهم؛ جزاء استكبارهم وكفرهم، ويدخلهم جهنم صاغرين، ذليلين، يعذبون فيها أبداً⁽³⁾.

(1) ينظر: الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ) تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم (783/2).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 740).

(3) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (546/4).

المبحث السادس: الوفاء بالعهد

المطلب الأول: تعريف الوفاء بالعهد:

الوفاء في اللغة: ما كان ضد الغدر⁽¹⁾، وما دل على إكمال وإتمام، كإتمام العهد وإكمال الشرط⁽²⁾.

أما الوفاء في الاصطلاح: "فهو القيام بمقتضى العهد"⁽³⁾، من إعطاء للحق وأخذ للحق⁽⁴⁾.

العهد في اللغة: "الموثق"⁽⁵⁾، والأمان، واليمين، والذمة، والحفظ، ورعاية الحق⁽⁶⁾.

"وكل ما بين العباد من الموائيق، فهو عهد"⁽⁷⁾.

والعهد في الاصطلاح: "هو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال"⁽⁸⁾.

وعرفه القرطبي في تفسيره: "بأنه وصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيهم إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على ألسنة رسله، ونقضهم ذلك ترك العمل به"⁽⁹⁾.

فالوفاء بالعهد: هو إتمام وإكمال وصية الله سبحانه وميثاقه الذي أراده من عباده، فيما يتعلق بحقه عليهم، وحقوق بعضهم لبعض.

والوفاء بالعهد قسمان، هما: أحدهما ما كان بين الله وعباده، وما كان بين عباده بعضهم ببعض.

(1) ينظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح (343\1).

(2) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (129\6).

(3) الكفوي، الكليات (ص: 948).

(4) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (399\15).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (167\4).

(6) ينظر: الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (4803\7).

(7) ابن منظور، لسان العرب (311\3).

(8) الجرجاني، التعريفات (ص: 154).

(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (246\1).

المطلب الثاني: الشرور التي ينجو منها من يفي بالعهد:

قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِالْآذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) (الإنسان: 7)، المراد بالآذر هاهنا العهد الذي يشمل كل ما وجب على الناس سواء وجب بإيجاب الله تعالى ابتداءً، أو بأن أوجبوه المكلفون على أنفسهم، فيدخل فيه الإيمان بجميع الطاعات، وهذه الآية دالة على وجوب الوفاء بالعهد؛ لأنه تعالى ذكر عَقِبَهُ بأنهم يخافون يومًا، وهذا يقتضي أنهم إنما وفوا به خوفًا من شر ذلك اليوم، والنجاة من شر ذلك اليوم لا تتحقق إلا إذا كان الوفاء بالعهد تامًا متحققًا، وقد ذم الله الذين ينقضون عهدهم بأنهم من شر الخلق⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: 55-56)، فهم الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ⁽²⁾ (الأنفال: 55-56)، فهم شر ما دب على وجه الأرض فهم نقضوا بكفرهم العهد بينهم وبين الله فلا يؤمنون به، وكلما عاهدوا نبي الله والمؤمنين عهدًا نقضوه، وكلما أكدوه بالإيمان نكثوه، دون الخوف من الله في ما ارتكبوه من الآثام⁽²⁾، فتبين من هذه الآية الذم والوعيد لمن نقض العهد، والحث والتأكيد على الوفاء بالعهد؛ لأنه من السبل المنجية من الشرور، ومن هذه الشرور:

1. النجاة من الكفر بالله سبحانه: إن العباد الذين يوفون بالعهد الذي عهده الله سبحانه إليهم، هم أهل الإيمان وهم خاصة الله سبحانه؛ لأن الوفاء بالعهد الذي أراده الله من عباده دليل على كمال الإيمان، ونقضه دليل الخروج منه، وهذا الذي أدى إلى كفر أهل الكتاب حيث نقضوا العهود بينهم وبين الله سبحانه، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (745\30).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (78\4).

الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ (النساء: 155).

لقد أخذ الله سبحانه وتعالى منهم عهدًا مؤكدًا بأن يأخذوا التوراة بقوة، وأن يقيموا حدود الله، ولا يتعدونها، ثم يتبعون ذلك بأن يبشروا بعبسى ومحمد عليهما السلام، إلا أنهم نقضوا الميثاق الذي واثقهم الله به، فأحلوا ما حرم الله، وحرّموا ما أحله، فكفروا بآياته وحججه الدالة على صدق أنبيائه، وقتلوا الأنبياء الذين أرسلوا لهدايتهم كزكريا ويحيى عليهما السلام⁽¹⁾.

فاستحقوا الكفر بالله سبحانه، ولو أنهم أوفوا بعهد الله لرفع الله قدرهم بالإيمان، والقرب من جلاله.

2. **النجاة من الفسق والفجور:** إن الذين يوفون بالعهد ينجيهم الله عز وجل من الوقوع بالمعاصي

والآثام، ويخرجهم من دائرة أهل الفسوق والعصيان؛ لأن الله عز وجل أمر به، وحث عليه،

وجعله من أركان البر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَ مِنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْإِنْسَانَ وَالسَّابِقِينَ فِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة: 177)، إن هذه الآية

تضمنت أنواع البر الستة ومنها الوفاء بالعهد ولا يستكمل المرء البر إلا بهن جميعاً⁽²⁾.

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (11\6).

(2) ينظر: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ-2004م (ص: 233).

والبر فعل الطاعة، والخير من الصلة والإحسان والنفع المتسع، والذي اتصف بالبر يخاف الله فلا يرتكب المعاصي بل يتجرد منها ويخلص أمره لله، ويصبح من الأبرار وهذا الاسم كثيرًا ما يختص بالأولياء والزهاد والعباد الذين تجردوا من فعل المعاصي، وتبرؤا منها⁽¹⁾.

3. **النجاة من النفاق:** إن الذين يوفون بعهد الله فإن الله ينقيهم من النفاق، ويجعل الصدق والإخلاص طبعًا فيهم وعادة، وهذا خلاف الذين ينقضون العهود فهم متصفون بالكذب والنفاق، قال تعالى واصفًا المنافقين: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الذِّكْرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥﴾ (الاحزاب: 15)، إن المنافقين حينما رأوا كثرة الفتوحات، وأعجبتهم الوعود الصادقة من الله سبحانه عاهدوه بعدم التولي والفرار أبدًا لشيء من الأشياء، وألا يكون لهم عمل، إذا حمى الوطيس، وتخالط الناس، وتعانق الحماة الأبطال إلا الظفر أو الموت، ولكن عندما جد الجد، وبدأ الجهاد، وأحاط الأعداء أهل الإيمان ظهرت عليهم علامات نقض العهد والميثاق الذي عاهدوا الله عليه⁽²⁾.

4. **نجاة المجتمع من القتل والتشريد وخراب العمران والبلدان:** إن المجتمع الذي يكثر فيه نقض العهد فيما بينهم فإنه مجتمع يكثر فيه الفساد والقتل والتشريد بين أفرادهم، ويقل عندهم الأمن والأمان، وتعم عندهم الفتن التي تؤدي إلى دمار العمران والبلدان، فكم من حرب قامت بسبب نقض العهد وعدم الوفاء به، وكان من آثارها تشريد العباد من بلادهم وأوطانهم، ومن ذلك اليهود الذين نقضوا العهود مع النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، فأنزل الله فيهم آيات تحت على قتالهم وتهجيرهم بسبب غدرهم ونقضهم للعهود، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ

(1) ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل (97\1).

(2) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (310\15).

الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ (الأنفال: 55-57)،
فهؤلاء لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم شر الدواب عند الله؛ لأن الخير معدوم
منهم، والشر متوقع فيهم، فإذها بهم ومحققهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا عند
مواجهتهم لا بد من التنكيل بهم، وإيقاع أشد العقوبة عليهم لكي يصبحوا عبرة لمن بعدهم فلا
يصنعون صنيعهم⁽¹⁾.

5. النجاة من النار: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الرعد: 20-23).

ذكرت هذه الآيات عدة صفات لأهل الجنان وابتدأت بالذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
الذي وثقوه على أنفسهم، وأكدوه بالآيمان فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد، ثم ذكرت
الآيات باقي الصفات، وذكرت أيضاً مصيرهم ومآلهم في الآخرة، حيث جعل الله عز وجل لهم النجاة
من النار، والفوز بالجنان عقبى ومصيراً⁽²⁾.

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 324).

(2) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (943).

المبحث السابع: تزكية النفس

المطلب الأول: تعريف التزكية:

التزكية في اللغة: قال ابن فارس: "الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ"⁽¹⁾.

"وَأَصْلُ الزُّكَاةِ فِي اللُّغَةِ الطَّهَارَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ وَالْمَدْحُ"⁽²⁾.

وأما النفس فقد تم تعريفها لغة واصطلاحاً في مبحث مصادر الشر.

تزكية النفس في الاصطلاح: تأتي بمعنى إصلاحها وتطهيرها من الذنوب والمعاصي⁽³⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي تُصرف بتزكية النفس:

إن الله سبحانه يَصْرِفُ كَثِيرًا مِنَ الشُّرُورِ لِمَنْ سَعَى جَاهِدًا إِلَى تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ، وتطهيرها من الذنوب والآثام، ومن هذه الشرور:

1. النجاة من الضلال والخسران، إلى الفلاح والسعادة: قال تعالى: ﴿قَالَ هَمَّهَا فُجُورُهَا

وَتَقْوُلُهَا﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (الشمس: 8-10)، وهذا موضع جواب

القسم، الذي جاء بعد أحد عشر قسمًا؛ لتأكيد فوز وسعادة من زكَّى الله نفسه، بإصلاحها

وتطهيرها من الذنوب، وتوفيقها للطاعة، وعلى خسران وخيبة من سعى في إضلال نفسه، وحملها

على معصية الله سبحانه⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (173).

(2) ابن منظور، لسان العرب (35814).

(3) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ (4514).

(4) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (2605).

2. النجاة من اجتناب دعوة الأنبياء: فمن مقاصد رسالة الأنبياء جميعاً الحث على تزكية النفس،

وتطهيرها من الشرك والذنوب والآثام، قال تعالى على لسان نبيه موسى وهو يخاطب فرعون:

﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ ۖ وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۝﴾ (النازعات: 18-19)، فموسى عليه السلام

يأمر فرعون الطاغية بترك طغيانه وكفره، ويرشده إلى التحلي بالخصال الحميدة، وأن يطهر

نفسه من أدناس الكفر والطغيان إلى الإيمان والعمل الصالح⁽¹⁾.

3. النجاة من النار، والسعادة بالجنة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ

حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ (فاطر: 18)، إن الذين يسعون إلى تزكية

أنفسهم بتطهيرها من أدناس الكفر والذنوب بالتوبة والإنابة إلى الله، فإنما يزكون ويطهرون

أنفسهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى يثيبهم على ما عملوا جنات عرضها السموات والأرض، وينجيهم

من النار التي أعدها للكافرين به⁽²⁾.

المطلب الثالث: سُبُل تزكية النفس:

وفي هذا المطلب عرض لبعض سُبُل تزكية النفس، ومنها:

1. النفقة في سبيل الله: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ

صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ (التوبة: 103)، يأمر الحق سبحانه وتعالى رسوله بأن

(¹) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 909).

(²) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (456\20).

يأخذ صدقة من الذين تابوا إلى الله؛ لكي يطهرهم من ذنوبهم ويزكيهم بما أنفقوا في سبيله، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الصدقة من السبل التي تزكى بها النفس⁽¹⁾.

2. **البعد عن الفواحش والمعاصي:** قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: 30)، يأمر الحق سبحانه نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بأن يرشد المؤمنين إلى غض أبصارهم عن ما يغضب الله سبحانه، وأن يستروا فروجهم عن ما نهى الله عنه، فإن فعلوا ذلك فسيكرمهم الله بتطهيرهم وتركيتهم من كل سوء⁽²⁾.

3. **كثرة العبادة وذكر الله سبحانه:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي جَنَّتْ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه: 75-76)، يخبر الحق سبحانه وتعالى أن الذين يعملون الصالحات، ويأتون بالعبادات التي أمر بها الحق سبحانه، فإنه سيدخلهم الجنات العاليات؛ لأنهم بعبادتهم للحق سبحانه، قد طهرهم وزكاهم من الذنوب⁽³⁾.

(1) الجزائري، أيسر التفاسير (422\2).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (154\19).

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (80\22).

المبحث الثامن: الصحبة الصالحة

المطلب الأول: تعريف الصحبة الصالحة:

تعريف الصحبة الصالحة في اللغة:

أ. الصحبة في اللغة: قال بن فارس: "الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ"⁽¹⁾.

ب. الصلاح في اللغة: قال بن فارس: "الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفُسَادِ"⁽²⁾.

تعريف الصحبة الصالحة في الاصطلاح:

أ. الصاحب: "هو من كثرت ملازمته وطالت صحبته"⁽³⁾.

ب. الصالح: "هو الخالص من كل فساد"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي تُصرف بالصحبة الصالحة:

إن الصحبة الصالحة منجاة من الشرور، ومنها:

1. النجاة من الجزع وقلة الصبر على الطاعات: قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽⁵⁾ (العصر:3)، ففي هذه الآية بيان لأهمية الصحبة الصالحة؛

لأنها تعين على الصبر على الطاعات، والصبر على اجتناب المنكرات⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (335\3).

(2) المرجع السابق (303\3).

(3) الكفوي، الكليات (ص: 557).

(4) الجرجاني، التعريفات (ص: 131).

(5) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (333\6).

2. **النجاة من الكفر:** إن الرفيق الصالح يعين رفيقه على ما فيه خير له، فينصحه بالبعد عن معصية الله والكفر به، بخلاف الرفيق السيء الذي يجرُّ رفيقه إلى كل مكروه وسوء، بل قد يجرُّه إلى الكفر بالله سبحانه، قال تعالى واصفًا مآل صحبة الكفار: ﴿يَتَوَلَّوْا لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا ۖ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 28-29)،
يصف الحق سبحانه حال الكفار الذين اتبعوا معتقدات أقرانهم من أهل الزيف والفساد، ويبين مدى الندم على تلك الصحبة التي أدت إلى الكفر بالحق سبحانه؛ بسبب ما زين له صاحبه من الغي والضلال (1).

3. **النجاة من البعد عن ذكر الله:** قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28)، أفادت الآية بأن العبد إذا أراد أن يصاحب رجلًا، فعليه أن ينظر في أمره هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره ضائعًا، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة فعليه بالتمسك به (2).

4. **النجاة من العداوة والبراءة يوم القيامة:** قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: 67)، يصف الله سبحانه وتعالى حال الأصحاب يوم القيامة، فأصحاب السوء والمعاصي يلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض، فهم لأقرانهم أعداء، وأما أصحاب الصلاح والتقوى، فهم الأخلاء المتحابون (3).

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 581).

(2) ينظر: ابن القيم، تفسير القرآن الكريم (ص: 366).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (21/637).

الفصل الرابع

أثر الشر على النفس والمجتمع

المبحث الأول: أثر الشر على النفس

إن للشر آثاراً عديدة على النفس، وتتجلى هذه الآثار في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الجزع والخوف:

أثر الشر في ترسيخ الجزع والخوف في النفس:

الإنسان الذي لم يرسخ في قلبه الرضا بقضاء الله وقدره، ولم يتسلح بالصبر في جميع المحن والكرب التي قدرها الله عليه، ولم يعتصم بالله عز وجل، ويؤمن به إيماناً جازماً، ويتوكل عليه حق التوكل في جميع أموره، سيبقى جزءاً من كل مصيبة، وشر، وشدة، وضائقة، وفقر يعتريه، خائفاً مما تحمل له الأيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ (المعارج: 19-21)، فالمراد بالشر في هذه الآية؛ الفقر والمرض، والمراد بالخير؛ الغنى والصحة، والمعنى أن الإنسان إذا صار فقيراً أو مريضاً أخذ في الجزع والشكاية.

وإذا صار غنياً أو صحيحاً أخذ في منع المعروف، وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس؛ وسبب ذلك هو اقتصار نظره على الأحوال الجسمانية والمادية العاجلة، بدلاً من الانشغال في أحوال الآخرة، والواجب عليه أنه إذا وقع في مرض أو فقر، أن يعلم أن هذا فعل الله تعالى، فيكون راضياً به؛ لعلمه أن الله يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادة في الآخرة⁽¹⁾.

(¹) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (30\644).

المطلب الثاني: اليأس والقنوط:

أثر الشر في ترسيخ اليأس والقنوط في النفس:

الإنسان الذي لم يعلم حقيقة الدنيا، وما خلقت لأجله، وأن الله أراد لها الفناء، وأن تكون دار اختبار وابتلاء؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، والصالح من الطالح فإن اليأس والقنوط سيكون دأبه في كل ملة تصيبه، قال تعالى: ﴿لَا يَسْعَى الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: 49) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: 83).

إن الإنسان لا يمل من إرادة النفع والسلامة، كالمال والغنى والصحة، وإن مسه الشر من شدة وفقر فإنه يؤوس، لا يرجو زواله؛ لعدم علمه بربه، وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إليه⁽¹⁾. وهذا طبع الإنسان الكافر، الذي من صفته اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته لمجرد شر يمسّه ويصيبه⁽²⁾.

المطلب الثالث: الاستعجال المذموم:

أثر الشر في ترسيخ الاستعجال المذموم في النفس:

إن الإنسان الذي لم يثبت على الحق والهدى، ولم يستتر بالعلم الذي يفرق فيه بين الخير والشر، ولم يوقن بأن الله سبحانه وتعالى أراد له الخير في كل نواحي حياته، فإنه إنسان مضطرب في

(1) ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ) لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3، (338/3).

(2) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (136/4).

تصرفاته، عجل على ما فيه هلاكه، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

عَجُولًا ۝﴾ (الإسراء: 11)، يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، حيث يدعو على نفسه أو ولده أو أهله أو

ماله بما هو شر، ومكروه لديه، كالموت، والهلاك والدمار، واللعنة ونحو ذلك، ولو استجاب له ربه

لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۚ

فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ (يونس: 11)⁽¹⁾.

فهو يستعجل في الدعاء بالشر كعجلته في الدعاء بالخير، وما ذلك إلا لسيطرة الغضب، والضجر

عليه، وشدة اضطرابه⁽²⁾.

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (49/5).

(2) ينظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص: 629).

المبحث الثاني: أثر الشر على المجتمع

للشر أثر عظيم على المجتمع يتجلى في انتشار الفواحش بين أفرادها، وكذلك فشو الكذب والافتراء، وظهور العداوة والبغضاء، والغدر وسفك الدماء ظلماً وعدواناً وفي المطالب الأتية بيان ذلك:

المطلب الأول: أثر الشر في انتشار الفواحش بين أفراد المجتمع:

الشر إذا ساد في المجتمع فإنه يؤدي إلى انتشار الفواحش والرذائل في أرجائه، ومن ذلك قوم لوط الذين شاعت فيهم الفواحش التي لم تظهر في أسلافهم، كنكاح الرجال من أدبارهم مما حرمه الله عليهم، وتركهم النساء اللواتي أحل الله لهم نكاحهن، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: 165) (1).

المطلب الثاني: أثر الشر في انتشار الكذب والافتراء في المجتمع:

إن المجتمع الذي يتواجد أهل الشر فيه، يسهل فيه الكذب، ولا يعدم الافتراء طريقاً فيه، ومثال ذلك حادثة الإفك التي أشاعها المنافقون الأشرار، ونشروا الحديث فيها زوراً وبهتاناً، وتلفقته الألسن، واغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام القائم على الكذب والافتراء، من اتهام أم المؤمنين عائشة بالزنا، وهي المصونة العفيفة، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة الصديق رضي الله عنه، حتى أنزل الله تعالى آيات في براءتها، ووعظ فيها المؤمنين، وأعظم ذلك، وأوصاهم بالوصايا النافعة، وبين أن ذلك كذب شنيع، وهو رمي أم المؤمنين، والذي أقدم عليه جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين، ومنهم

(1) مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (5343\8).

المنافق⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ

أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 11).

المطلب الثالث: أثر الشر في ظهور العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع:

إن الشر إذا تسلل إلى النفوس فستعم في المجتمع العداوة والبغضاء، وقد تدخل العداوة والبغضاء إلى الأسرة الواحدة فيسعى بعضهم للنيل من بعض؛ لشدة عداوتهم وبغضهم لأنفسهم؛ والسبب في ذلك بث الشيطان سمومه، وشروره بينهم، وقبول أنفسهم لذلك، ومن الأمثلة على ذلك قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين كادوا له كيذاً، قال تعالى واصفاً لهم على لسان نبيه: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: 77)، فيوسف عليه السلام وصفهم بالشر وإن لم يظهر لهم ذلك، حيث قاموا بشر الأعمال، ومنها سرقتهم من أبيهم أحب أبنائه إليه، وتعرضه للهلاك، والرق، وكذبوا حين قالوا لأبيهم: قد أكله الذئب، وغيرها من الشرور الكثيرة⁽²⁾.

المطلب الرابع: الغدر الذي يؤدي إلى سفك الدماء:

إن من علامات الشر في المجتمع كثرة الغدر بين أهله، فالغدر سمة المجتمع الذي يسود الشر في أهله، ومن ذلك مجتمع بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر، ثم زعموا أنهم: أخطأوا، وطالبوا أن يعاهدهم النبي مرة أخرى فعاهدهم، ثم نقضوا العهد يوم الخندق، وكانوا يهدفون إلى القضاء على المسلمين، وذهاب شوكة الإسلام؛ بسبب غدرهم وسعيهم لسفك دماء المسلمين، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 563).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (13\24).

الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا

يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ (الأنفال: 55-56)، فبين الله سبحانه وتعالى أن شر الدواب عنده الذين يصرون على

الكفر والاستمرار فيه، والذين ينقضون العهد على الدوام، أمثال اليهود^(١).

فشرهم دفعهم إلى نقض العهود، والسعي لبث الفتن، وتسهيل قتل أهل الإسلام.

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (15/497).

الفصل الخامس

نماذج من أهل الشر

المبحث الأول: أصل اليهود والشرور التي قاموا بها

المطلب الأول: أصل اليهود:

إن أصل اليهود يرجع إلى نبي الله إسرائيل -وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -عليهم الصلاة والسلام- والذي نشأ وعاش في بيت المقدس، وقد ولد له اثنا عشر ولداً⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الشرور التي قام بها اليهود.

اليهود قوم أكرمهم الله سبحانه بكثرة إرسال الأنبياء إليهم، وتفضيلهم على العالمين بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:20)، إلا أنهم قوم جحدوا بالله وعصوا رسله، فكانوا من شرار الخلق، ومن أكثر الناس استحقاقاً لغضب الله عليهم؛ لجحودهم بالحق مع علمهم به، فهم أكثر الناس ضلالاً وشرّاً، ومن هذه الشرور:

1. الكفر بالله سبحانه بعد قيام الحجج والبراهين القاطعة: قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ

الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الاعراف:138)، لقد أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة

(1) ينظر: قدح، محمود بن عبد الرحمن، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة والعشرون -العدد (107)-(1418-1419هـ)، (ص:246).

منها إهلاكه عدوهم، وتمكينه لهم في الأرض بأن أورثهم أراضيهم وديارهم، وإنعامه عليهم بالنعمة العظمى: وهي أن جاوز بهم البحر مع السلامة، وذلك بأن فلق البحر عند ضرب موسى لهذا البحر بالعصا، وجعله ييبسًا، لكن بني إسرائيل بعد أن شاهدوا هذه المعجزات الباهرة التي أظهرها الله تعالى لموسى على فرعون، وكثرة النعم عليهم، والحجج الواضحة، ارتدوا عندما رأوا قومًا يعكفون على عبادة أصنامهم، وقالوا: لموسى اجعل لنا إلهًا مثل الذي لهم، وهذا كلام في غاية الفساد والبطلان لا يخرج إلا من قوم بلغوا النهاية في الشر والجهل والخلاف⁽¹⁾.

2. كثرة العناد والمكابرة وتقييدهم بالإيمان برؤية الله عيانًا: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نُّؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُم بِأَصْبَعَةٍ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: 55)، لقد اضطرب إيمانهم بالله سبحانه حيث زعموا عدم التصديق والاعتراف بنبوة موسى حتى يروا الله عيانًا⁽²⁾.

3. قتلهم الأنبياء والدعاة والمصلحين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: 21)، لقد بلغ اليهود الغاية في الشر والإجرام حيث قتلوا عددًا من النبيين، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم؛ وإنما بسبب تبليغهم أمر الله وشرعه، ودعوتهم لكي يتبعوا الحق، والذي يقتل أنبياء الله وصفوة الخلق فلن يثنيه شيء عن قتل الدعاة والمصلحين، وهذا هو غاية الكبر والشر⁽³⁾.

4. الغدر ونقضهم للعهود والمواثيق: قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَفْضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقٍ وَهُمْ لَا

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (349\14).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (519\3).

(3) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (27\2).

يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ (الأنفال: 55-56)، لقد جمع هؤلاء اليهود أقبح الخصال وهي: الكفر، والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، فما قالوا قولاً ولا عاهدوا عهداً إلا نكثوه وغدروا بمن عاهدهم، فهم شر الدواب عند الله، فشرهم فاق الحمير والكلاب وغيرها من الدواب؛ لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم متجذر، فالقضاء على المخادعين وناكثي العهود ومحققهم هو المتعين، لنألا يسري داؤهم لغيرهم⁽¹⁾.

5. تطاولهم على الحق سبحانه، واتهامه بما هو منزه عنه: لقد اتهموا الله سبحانه بالفقر، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى في زعمهم الباطل: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: 181).

إن هؤلاء اليهود نطقوا بالزور والفحش العظيم، حيث زعموا أن الله -تعالى- فقير وهم أغنياء، وهذا من أقبح أقوالهم وأكثرها شراً⁽²⁾.

ولم يقتصر شرهم على ذلك بل افتروا واتهموا الحق سبحانه بالغل والبخل، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ (المائدة: 64)، لقد بسط الله تعالى على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم، وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك نسبوه إلى البخل، وقالوا: يد الله محبوسة مقبوضة عن الرزق، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً⁽³⁾.

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 324).

(2) ينظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1 (356/2).

(3) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (66/2).

6. تحريفهم للكتب السماوية: قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ۖ﴾ (النساء:46).

لقد من الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل بأن آتاهم نصيباً من الكتاب، فعمدوا إلى تحريفه بإمالاته وإزالاته عن مواضعه، وجعلوا مكانه غيره، وسعوا إلى تأويله على غير مراده، فذمهم الله عز وجل بذلك؛ لأنهم يفعلونه عناداً وبغياً، وحرصاً على الدنيا⁽¹⁾.

7. السعي في الإفساد في الأرض: قال تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ كُلَّمَا

أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ (المائدة:64).

إن اليهود من صفتهم إثارة الشر بين الناس، ونشر الفتن والافتتال بينهم، إلا أن الله سبحانه يوقع بينهم منازعة تكف شرهم، وتدفع شوكتهم، فمنازعتهم لبعضهم يورث فشلاً لمساعيهم في طلب الإفساد فلا يعينهم الله على تحريفهم الفساد في الأرض⁽²⁾.

8. تعلمهم السحر ونشره: قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَنُ وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ

هَارُوتَ وَمَكْرُوتَ ۚ﴾ (البقرة:102).

لقد اتبع اليهود ما تلت الشياطين من كتب السحر والشعوذة في زمن سليمان وعهده، أو حول ملكه وسلطانه، وكانوا يذيعون أن ملكه كان قائماً على السحر، ولقد رد الله سبحانه ما ادعت اليهود على

(¹) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (548\1).

(²) ينظر: الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني (395\5).

نبيه سليمان، بكونه ساحراً يركب الريح، وتأتّم الجن بأوامره، وأبان بأن الشياطين هم الذين كفروا؛ بتعليمهم الناس السحر⁽¹⁾.

9. التحايل على أحكام الله سبحانه: قال تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: 163).

لقد أمرهم الله تعالى أن يعظموه ويحترموا ولا يصيدوا يوم السبت شيئاً من البحر، وأراد الله أن يبتليهم ويمتحنهم، بسبب فسقهم وفجورهم، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم بحيث تكون طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب في البحر فلا يرون منها شيئاً، فأدى بهم شرهم وفجورهم إلى التحايل على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفراً، وينصبون لها الشباك، فإذا جاء يوم السبت وقعت في تلك الحفر والشباك، ثم يتركوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، وكان هذا الفعل يقوم به معظمهم، وبهذا اعتدوا على أمر الله، وتجروؤا عليه، وأعلنوا ذلك⁽²⁾.

وهذه الشرور جزء من شرورهم التي ارتكبوها منذ زمن أجدادهم وصولاً إلى أحفادهم في نصرة الشر، ومعاداة الخير والحق، فهم من أسوأ النماذج التي ناصرت الشر وانتمت إليه.

(1) ينظر: ابن الخطيب، أوضح التفاسير (18\1).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 306).

المطلب الثالث: أسباب وقوع اليهود في الشر:

لقد أدت أسباب كثيرة إلى وقوع اليهود في براثن الشر، وجعلهم معاول هدم للخير، وفي هذا المطلب عرض لبعضها، ومنها:

1. **الجهل:** قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ

قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ (الاعراف:138).

لقد رأى بنو إسرائيل الآيات العجائب، والمعجزات العظام منذ أن أتاهم موسى عليه السلام بالرسالة، إلا أن جهلهم أعماهم عن اتباع الحق، وأوقعهم في منابع الشر، حيث طلبوا من نبيهم عبادة غير الله، فأبان لهم سبب غيهم وشرهم؟ وهو الجهل المطلق فوصفهم به؛ لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع⁽¹⁾.

2. **الحسد:** قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا

حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿١٠٩﴾ (البقرة:109)، دلت الآية على مدى

حرص اليهود على كفر المؤمنين بعد إيمانهم، وحرصهم على نصره الشر، وخمد نور الخير؛ والسبب في ذلك حسدهم الذي تغلغل في نفوسهم، حيث أحبوا أن تكون الرسالة فيهم وحدهم⁽²⁾.

3. **الكبر:** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى

ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ

فَفَرَّقَافًا كَذَبْتُمْ وَفَرَّقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ (البقرة:87)، أبان الحق سبحانه أن من أسباب كفر اليهود

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (150\2).

(2) ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (536\1).

بأنبيائهم، هو استكبارهم، فقد اتصفوا بالكبر والترفع عن اتباع الرسل؛ لما اعتقدوا بأنفسهم أنهم

أعلى من أن يطيعوا الرسل، ويكونوا أتباعاً لهم، والسين والتاء في استكبرتم للمبالغة⁽¹⁾.

4. الهوى: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا

مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 77)، يرشد الله سبحانه وتعالى نبيه عليه

السلام بأن يوجه أهل النصارى إلى عدم الغلو في عيسى عليه السلام؛ حتى لا يقعوا في تأليهه،

فيتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، وألا يتبعوا أيضاً في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلهم

عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا، وتبتهتوا أمه كما بهتوها⁽²⁾، وفي ذلك بيان

إلى أن اليهود قد أعماهم هواهم حتى تناولوا على الحق سبحانه، وعلى أنبياءه عليهم السلام.

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (598\1).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (487\10).

المبحث الثاني: المنافقون

المطلب الأول: تعريف المنافقين:

النفاق في اللغة: قال ابن فارس النون والفاء والقاف أصل يدل على إخفاء الشيء وإغماضه، ومنه اشتق النِّفاق؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكْتُمُ خِلَافَ مَا يُظْهَرُ، فَكَأَنَّ الْإِيمَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، أَوْ يَخْرُجُ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي خَفَاءٍ⁽¹⁾.

النفاق الأكبر في الاصطلاح: "إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"⁽²⁾.

والمنافقون: هم الذين يظهرون الإيمان بالسنتهم، ويكتمون الكفر في قلوبهم⁽³⁾.

وهم من أكثر الناس شراً وخبثاً؛ لأنهم يظهرون الخير ويسرون الشر⁽⁴⁾.

فيحسبهم أهل الإسلام أهل خير وصلاح، وهم في حقيقتهم أهل كيد ومكر للإسلام والمسلمين، يبتون سمومهم وشروورهم في الخفاء؛ لكي ينالوا من الإسلام وأهله، ولطالما سعى المنافقون إلى هدم الإسلام وإخماد نوره منذ فجر النبوة، إلا أن الله متم نوره، ولو بذل أعداءه الغاية في مكدهم وكيدهم.

المطلب الثاني: الشرور التي قام بها أهل النفاق:

1. اتهام النبي عليه السلام بعدم العدل: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا

مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة: 58)، إن الله سبحانه وتعالى يصف

(1) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (455/5).

(2) الجرجاني، التعريفات (ص: 245).

(3) ينظر: المرجع السابق (ص: 245).

(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (176/1).

حال المنافقين لرسوله صلى الله عليه وسلم، فمن صفتهم أنهم يغضبون لأنفسهم، فإذا أنت أعطيتهم من الصدقات ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منها ما يريدونه سخطوا عليك ورموك بالنقص والعيب وعدم العدل⁽¹⁾.

2. الاستهزاء بالمؤمنين: قال تعالى واصفًا حال المنافقين مع أهل الإيمان: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا

قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾﴾ (البقرة:14)، فهذا قول ألسنتهم لا قلوبهم، فهم إن اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا الإيمان، وإذا خلوا إلى رؤسائهم وكبرائهم في الشر أظهروا حقيقتهم وكفرهم بالله، وأنهم يريدون بذلك الاستهزاء والسخرية من المؤمنين فيما يظهرون لهم بأنهم على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة⁽²⁾.

3. إشاعة الفاحشة والافتراء على المؤمنين: ومن ذلك حادثة الإفك التي اتهموا فيها أم المؤمنين

بalfحشاء، وهي من ذلك براء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (النور:11)، لقد اتهم أهل النفاق أم المؤمنين عائشة بما لا يليق في حقها، وقد تولى هذه الحملة رأس النفاق في المدينة عبد الله بن أبي، وروجوا هذا الاتهام وأذاعوه بين الناس⁽³⁾.

4. مناصرة أعداء الإسلام: قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ

تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَازِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (المائدة:52)، والمراد في هذه الآية المنافقون، حيث كانوا يسارعون في مودة اليهود ونصارى نجران؛ لأنهم كانوا أهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم ويقرضونهم؛ خشية الهزيمة

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (300\14).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 43).

(3) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر (10213\16).

والحوادث المخوفة، وكانوا يقولون بأن محمد صلى الله عليه وسلم لن يتم له الأمر بل سيدور الأمر عليه⁽¹⁾.

5. إظهار الإيمان وابطان الكفر والفسق والفجور: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:8)، فهم يقولون ذلك قولاً لا اعتقاداً؛ بهدف إظهار الإيمان مع إسرار الكفر؛ لاعتقادهم الجاهل بأنهم يخدعون الله بذلك، وأن في ذلك نفع لهم عنده، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين⁽²⁾.

6. تخذيل أهل الإسلام وتشبيطهم عن نصره دينهم: ومن ذلك سعيهم في غزوة تبوك إلى تشبيط المؤمنين والحيلولة دون خروجهم لقتال الروم، حيث بثوا نصائح مسمومة كبعد المسافة وشدة الحر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ (التوبة:81)، فزعموا أن النفير مشقة عليهم؛ بسبب الحر، وطول المسافة⁽³⁾.

7. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة:67)، يذكر الله سبحانه وتعالى أحوال المنافقين بالجملة، وأن ذكورهم في ذلك كإناثهم، وأنهم متناهون في النفاق بعيديون عن الإيمان، ومن أعظم صفاتهم: أمرهم بالمنكر وكل ما هو قبيح عقلاً أو شرعاً، ونهيهم عن المعروف وكل ما هو حسن عقلاً أو شرعاً⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (375\12).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (177\1).

(3) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 346).

(4) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (432\2).

المطلب الثالث: أسباب النفاق الذي أدى إلى كل هذه الشرور:

1. **الجهل والسفه:** إن من أعظم أسباب النفاق؟ الجهل والسفه بالله سبحانه، وبدينه، وبنبيه عليه

أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال تعالى واصفًا حالهم، ومبينًا سبب نفاقهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا

كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ^ف أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (البقرة: 13)، لقد اتهم المنافقون المؤمنين بالسفه والجهل، وقد رد الله تعالى عليهم

اتهامهم، فقلب عليهم اللقب الذي وصفوا به المؤمنين، وقوله الحق فهم أهل الجهل والسفه؛ لأنهم

أعرضوا عن الدليل والحق المبين، ثم نسبوا من تمسك به بالسفاهة، ثم إن جهلهم أرداهم إلى بيع

آخرتهم بدنياهم (1).

2. **المبالغة في حب الدنيا:** إن الحب المبالغ للدنيا، والحرص على المكانة الاجتماعية من الأسباب

التي دفعت المنافقين إلى نفاقهم، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى

أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

تَرْمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (المائدة: 52).

أشارت الآية إلى مدى حرص المنافقين على منافعهم الدنيوية، ورياستهم فيها، حيث عمدوا إلى

اليهود، وحرصوا على موالاتهم؛ خشية انقلاب الدنيا لصالح اليهود، فهدفهم من موالاتهم؟ مصالحهم

الدنيوية (2).

3. **الكذب والجبن:** إن من أسباب النفاق التي تدفع المنافق إلى إبطان الكفر وإظهار الإيمان؟ الجبن

والخوف من المؤمنين أن يفعلوا بهم ما يفعلوا بالمشركين، فيسعون إلى الكذب فيظهرون الإسلام

(1) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (308\2).

(2) المراغي، تفسير المراغي (137\6).

تقية⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ (التوبة: 56-57).

(¹) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (85/3).

الفصل السادس

مآل أهل الشر في الدنيا والآخرة

المبحث الأول: مآل أهل الشر في الدنيا

إن الله سبحانه وتعالى كتب على هذه الدنيا الفناء، وحدد عمرها بأجل وميعاد، وجعلها دار اختبار وامتحان، والناس فيها قسمان أهل خير مآلهم جنة عرضها السماوات والأرض، وأهل شر مآلهم نار تلظى، هم وقودها وحطبها.

وقبل الشروع بالحديث عن مآل أهل الشر في دار الخلود والبقاء، لابد من الحديث عن مآلهم ومصيرهم في الدنيا.

إن مآل ومصير أهل الشر في الدنيا عقاب وشر من جنس عملهم، فهم سعوا في الشر في دنياهم ليل نهار، فعاقبهم الله بشر خاتمة في دنياهم؛ تمهيداً لهم للعذاب المطلق، والشر المحض الذي ينتظرهم في الآخرة.

المطلب الأول: مآل أهل الشر في الدنيا:

ومن المآل والعقاب الذي كتبه الله على أهل الشر في الدنيا:

1. العذاب بالطوفان: ومن ذلك قوم نوح الذين بلغ شرهم وكفرهم مبلغه، وهم أول من أشرك بالله

سبحانه، فجعل الله عز وجل عقابهم ومآلهم بأن أغرقهم بالطوفان، بعد أن أمدهم بالعمر المديد

الذي سخروه في العصيان والكفر والفجور، فقالوا بذلك شر المآل في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (العنكبوت: 14)، لقد أرسل الله عبده ورسوله نوحًا عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد والأصنام، مدة ألف سنة إلا خمسين عامًا، من غير أن يني بدعوتهم، أو يفتر في نصحهم، وكان يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، بعد صبر وحلم وطول احتمال، فعاقبهم الله بالماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة ولقد استحقوا ذلك العذاب⁽¹⁾.

2. العذاب بالريح: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ (القمر: 18-20)، إن هذه الآيات تتحدث عن عاد قوم هود، وكيف أرسل الله عليهم عقابه وعذابه وختم بذلك حياتهم في الدنيا، حيث أرسل عليهم ريحاً عاصفاً، لصوتها صرير حين هبوطها في يوم شؤم عليهم؛ جزاء كفرهم واستكبارهم، ولقد استمر بهم البلاء والعذاب حتى حل بهم الدمار⁽²⁾.

3. العذاب بالصيحة: والمراد بالصيحة صيحة جبريل عليه السلام⁽³⁾، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٣٢﴾﴾ (القمر: 23)، إلى قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ أَلْمُحْتَضِرِ ﴿٣٣﴾﴾ (القمر: 31)، لقد دعا صالح عليه السلام قومه ثمود إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنذرهم العقاب إن هم خالفوه، فما كان منهم إلا أن كذبوه واستكبروا عليه، رغم إرسال الله لهم الناقة نعمة لهم، وآية من آياته، ولقد كانوا يحتلبون من ضرعها ما يكفيهم أجمعين، وفي ذلك اختبار من الله لهم وامتحان، إلا أنهم باسروا بعقرها؛ لشدة كفرهم وعنادهم وتكذيبهم؛ فعاقبهم

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 627).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (86\27).

(3) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (325\4).

الله بأشد عذاب، حيث أرسل عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، وأنجى الله صالحًا والذين آمنوا معه⁽¹⁾.

4. العذاب بالخسف: قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (القصص: 76)، إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (القصص: 81)، وهذه الآيات يخبر الله تعالى فيها عن قارون وكيف كان مآله ونهايته، حيث خسف الله به وبداره الأرض؛ انتقامًا منه لشدة كفره وكثرة نفاقه وبغيه على قومه وكبريائه عليهم⁽²⁾.

5. العذاب بالغرق: قال تعالى: عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الزخرف: 55)⁽³⁾.

لقد استخف فرعون بقوله عقول قومه، فاستجابوا له وأطاعوه على الكفر وتكذيب موسى، فخرجوا بذلك عن طاعة الله سبحانه، وحل عليهم غضبه وعقابه، فأغرقهم الله سبحانه في البحر أجمعين⁽⁴⁾.

6. العذاب بالمسخ: قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ (المائدة: 60).

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 826).

(2) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (102\4).

(3) سورة الزخرف، آية: 55.

(4) ينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (10\6679).

وهذا خطاب من الله سبحانه لليهود يذكرهم بشأن أسلافهم الذين اعتدوا يوم السبت بصيد السمك، وكان محرماً عليهم ذلك؛ لقصره على العبادة، وقد ابتلاهم الله بأن كانت حياتهم تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة قريبة من الساحل، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فتعمدوا ارتكاب الخطيئة وقاموا بالصيد يوم السبت وتركوا العبادة، فكان جزاؤهم ومآلهم أن حكم الله عليهم أن يكونوا قردة وخنازير مبعدين عن رحمة الله والناس؛ لأنهم أنزلوا أنفسهم إلى مرتبة الحيوان، وهكذا شأن كل فاسق خارج عن طاعة الله سبحانه⁽¹⁾.

7. العذاب بقلب المدن بأهلها رأساً على عقب: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: 82-83).

والخطاب هنا عن قوم لوط وما أحل الله بهم من العذاب؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم وارتكابهم أبشع الفواحش، فكان عقابهم بأن قلب الله سبحانه عليهم ديارهم وجعل أعلاها أسفلها، وأمطر عليهم حجارة شديدة الحرارة⁽²⁾.

المطلب الثاني: الحكمة من ذكر مآل أهل الشر في الدنيا:

إن الحكمة من ذكر هذه المآلات هو الاتعاظ والاعتبار من عاقبة أرباب الشر، وبيان أن عاقبتهم معجلة في الدنيا قبل الآخرة، وأن ما شيدوه وعملوه في دنياهم لم ينفعهم في حياتهم الدنيا، بل كان وبالاً عليهم وحسرة، ولهذا أمر الحق سبحانه عباده بالتفكر في مآلات الأمم السابقة⁽³⁾، قال تعالى:

(1) ينظر: الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت، ط10، 1413هـ، (44/1).

(2) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 386).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (505/27).

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً

وَعَاثَرَا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ﴾ (غافر: 21).

المبحث الثاني: مآل أهل الشر في الآخرة

المطلب الأول: مآل أهل الشر في الآخرة:

لقد جعل الله عز وجل مآل أهل الشر في الدنيا الخزي فيها، وجعل خاتمتهم في الدنيا شر خاتمة، إلا أن ذلك لم يكن إلا تمهيداً لمآل وعذاب أشد وأنكى ينتظرهم في آخرتهم، فما مآلهم ومصيرهم؟ إن مآلهم النار التي لا يعدلها ولا يماثلها عذاب أو عقاب، فهي الشر الذي لا يفتر عنهم، ولا يخفف عليهم مهما صاحوا وناشدوا، قال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۖ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَسَّ أَلْمَهُادُ ۖ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ۖ ۝٥٧ ۖ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ ۝٥٨﴾ (ص: 55-58)، لقد جعل الله عز وجل للذين تجاوزوا الحد في الكفر والمعاصي، وبلغوا في الشر ذروته، جهنم مرجعاً ومنقلباً، فهي عذاب الله وسخطه جمع فيها كل عذاب، فلقد اشتد حرها، وانتهى قرها، وهم فيها يعذبون عذاباً يحيط بهم من كل وجه، ولهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم، فهي مسكنهم ومآلهم الدائم، لهم فيها خزي وفضيحة ونكال⁽¹⁾.

وأما كيفية دخولهم النار فهم يساقون بأقبح الصور وأشدها فهم مكبلون بأغلال في رقابهم وسلاسل متصلة بها، يمسك بها الزبانية فيسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم، وتارة إلى الجحيم⁽²⁾، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۖ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۖ﴾ (غافر: 71-72).

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 715).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (157/7).

وأما شرابهم فهو الحميم والغساق⁽¹⁾، فهم لا يشربون إلا ماءً حاراً يشوي وجوههم، وماءً بارداً لا يستطيعون شرابه لشدة برودته⁽²⁾، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ (النبا: 24-25).

وأما طعامهم فشجرة الزقوم التي خلقت من النار، وغذيت منها، وهؤلاء المشركون الذين بلغوا في الشر مبلغه لآكلون من هذه الشجرة حتى يملئوا منها بطونهم، وإن طلع ثمارها كرؤوس الشياطين، فهي شر طعام ومنظر⁽³⁾، قال تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْمِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٢٨﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٢٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكُلُونَ مِنْهَا فَمَالُؤْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الصافات: 62-66).

وأما لباسهم فهي ثياب فصلت لهم على مقادير جثثهم، لكنها قطعت من نار الجحيم: فهي نيران تحيط بهم إحاطة الثياب⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ (الحج: 19).

وكل ما هموا أو أرادوا أن يخرجوا من حرها وعذابها وشؤمها وغمها وآلامها ردوا إليها بمقامع من حديد من نار مستعرة، ثم يقال لهم: ذوقوا العذاب الذي يحرق أجسامكم في ظاهرها، كما يشوي أحشاءكم في باطنها⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَّقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ (الحج: 21-22).

(1) الحميم: الماء شديد الغليان، والغساق: ما يخرج من جلود أهل النار، أو ما ينتج من دماءهم وقيحهم، وقيل بأنه الزمهرير الذي عظم برده فلا يستطيعون تذوقه، ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (165\24).

(2) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (132\23).

(3) ينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (611\49).

(4) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (68\4).

(5) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (496\39).

وأما حديثهم فيما بينهم عند تواردهم على النار فهو لعن وشتم لبعضهم البعض، ثم يدعون على المغوين لهم من أئمة الشر، بأن يضاعف الله لهم العذاب فوق عذابهم؛ لما تسببوا بفتنتهم وإضلالهم وفي اجتماعهم جميعاً في قرار السوء والشر⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيفٍ ﴿٢٥﴾﴾ (العنكبوت: 25).

هذا جانب من مآلهم ومصيرهم، وتعضاً لهم من مصير ومنقلب كهذا، فهو شر لا يعقبه إلا ما هو أشد منه شراً، وسخط لا يتبعه إلا سخط أشد منه.

المطلب الثاني: الحكمة من تفصيل مآل أهل الشر في الآخرة:

1. الاعتاظ والاعتبار.
2. الإشارة إلى براءة أهل الشر من بعضهم البعض عند رؤيتهم للعذاب في الآخرة، وأن ما هم فيه من تقارب في الدنيا، فإنه سيقرب كرهاً وعداوة يوم القيامة.
3. بيان أن عقاب أهل الشر لأهل الخير في الدنيا لا يذكر أمام ما أعده الله لأهل الشر في الآخرة من العذاب الأليم.
4. بيان إلى أن ملامح التنعم في الدنيا كالطعام واللباس والمسكن، قد أبدلت جحيماً ووبالاً على أهل الشر يوم القيامة، فلا يجدون شيئاً من ذلك النعيم يوم القيامة.

(1) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 715).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله من قبل ومن بعد، الحمد لله دائماً أبداً، الحمد لله
ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، والصلاة والسلام على خير الورى، وإمام الهدى،
المبعوث بالخير رحمة للعالمين، وبعد:

فلقد وفقني الله سبحانه على إتمام هذه الدراسة المتواضعة، فله الحمد والشكر، وأسأله أن يمن علي
بمزيد من ذلك وبما هو خير لي في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفيما يأتي ذكر لأهم النتائج والتوصيات التي تضمنتها هذه الدراسة:

أولاً: النتائج:

1. إن العلاقة القائمة بين الخير والشر؛ علاقة صراع مستمر إلى قيام الساعة.
2. إن عدم تدارك الشر في بداياته سيؤدي إلى انتشاره، وصعوبة مواجهته.
3. إن الشر يركز على قدمين هما: الشيطان، والنفس التي تطاوعه.
4. أكثر الطرق لظهور الشر هي: الكفر والشرك بالله، والجهل والحسد والطغيان.
5. إن العلم بالشر كفيل للعلم بالشر والخير معاً، بخلاف الاقتصار على العلم بالخير الذي لا
يحفظ الإنسان من الوقوع في الشر.
6. إن الشر يعود بالضرر على المجتمع قاطبة؛ إن لم يسع أهله في علاجه وإيقافه.
7. إن من أكثر الناس شراً الكفار والمشركون بشكل عام، واليهود والمنافقون بشكل خاص.
8. أن من أكثر الوسائل الناجحة للنجاة من الشر هي: الإيمان بالله والاستعاذة منه والصبر والعلم
به.

9. إن عقاب الله لأهل الشر يكون في الدنيا والآخرة.

التوصيات:

أوصي المؤسسات التي تهتم بالدراسات الإسلامية أن تركز على دراسة موضوع الشر ومصادره وطرقه والوقاية منه.

هذا ما وفقت إليه، وما أعانني الله عليه بفضله وكرمه وعطائه، فما كان من سهو أو نقص أو خلل أو خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، والله الموفق والهادي إلى كل خير.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

[1] ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي

(ت: 281هـ) **العقوبات**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان،

ط1، 1416هـ-1996م.

[2] ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الأذري الصالحي

الدمشقي (ت: 792هـ) **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية،

والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418هـ.

[3] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ) **التبصرة**، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.

[4] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب

العربي - بيروت، ط1، 1422هـ.

[5] ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، ط1.

[6] ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف (ت: 1402هـ) **أوضح التفاسير**، المطبعة المصرية ومكتبتها،

ط6، 1383هـ-1964م.

[7] ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف

الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1410هـ.

[8] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، **بدائع الفوائد**، دار

الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

[9] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي،

دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1416هـ-1996م.

[10] ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ) شرح صحيح البخاري،

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ-2003م.

[11] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

القاسم بن محمد (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: 1416هـ-

1995م.

[12] ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ-1986م.

[13] ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379م.

[14] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) مسند الإمام

أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وعبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة

الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.

[15] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي،

الحنبلي (ت: 795هـ) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة

والنشر، ط1، 1424هـ-2004م.

[16] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ) التحرير

والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» دار التونسية

للنشر -تونس، 1984هـ.

[17] ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ) شرح ألفية ابن مالك، مصدر

الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>

الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس -70 درسا].

[18] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت:

1224هـ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن

عباس زكي -القاهرة، الطبعة: 1419هـ.

[19] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت:

542هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار

الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1422هـ.

[20] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) معجم

مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

[21] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) تفسير

القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-

1999م.

[22] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي

(ت: 711هـ) لسان العرب، دار صادر -بيروت، ط3، 1414هـ.

[23] أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) تفسير أبي السعود (إرشاد

العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[24] أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني

(ت: 275هـ) سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا

- بيروت.

[25] أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ) زهرة التفاسير، دار الفكر

العربي.

[26] أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، (ت: 386هـ) قوت القلوب في معاملة

المحبيب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب

العلمية - بيروت / لبنان، ط2، 1426هـ-2005م.

[27] أحمد مختار، عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،

ط1، 1429هـ-2008م.

[28] الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ) جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير

بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م.

[29] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري

(ت: 1420هـ) صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.

[30] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ) روح المعاني في تفسير

القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت،

ط1، 1415هـ.

[31] البخاري، محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار

طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط1، 1422هـ.

[32] البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **فقه الأديعية والأذكار**، الكويت، ط2، 1423هـ-2003م.

[33] البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي،

(ت: 354هـ) **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار

الكتب العلمية - بيروت.

[34] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: 510هـ) **معالم التنزيل**

في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي

-بيروت، ط1، 1420هـ.

[35] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ) **نظم الدرر في**

تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[36] البضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، **أنوار**

التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي

-بيروت، ط1، 1418هـ.

[37] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجَردِي الخراساني، (ت: 458هـ)

السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3،

1424هـ-2003م.

[38] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجَردِي الخراساني، أبو بكر (ت: 458هـ)

كتاب الزهد الكبير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: 3.

[39] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، (ت: 279هـ) سنن

الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ-1975م.

[40] التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (ت: 1285هـ) الإيمان

والرد على أهل البدع، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، مصر،

1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ.

[41] التوجيهي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، موسوعة فقه القلوب، بيت الأفكار الدولية.

[42] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت: 427هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق:

صلاح باعثمان، وحسن الغزالي، وزيد مهارش، وأمين باشه، دار التفسير، جدة - المملكة العربية

السعودية، الطبعة: الأولى، 1436هـ-2015م.

[43] جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب - القاهرة،

ط1، 2010م.

[44] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (ت: 471هـ)

دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية،

ط1.

[45] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه

جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

[46] الجريسي، خالد بن عبد الرحمن بن علي، الحذر من السحر، مؤسسة الجريسي للتوزيع

والإعلان، الرياض.

[47] الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام علي

الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ-2003م.

[48] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح

العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.

[49] الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت، ط10، 1413هـ.

[50] الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله (ت: نحو 320هـ) المنهيات،

تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة، مصر، 1406هـ.

[51] الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،

تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومظهر بن علي الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، دار

الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1420هـ-1999م.

[52] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن (ت: 741هـ)

لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1،

1415هـ.

[53] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ) شأن

الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة: الثالثة، 1412هـ-1992م.

[54] الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح،

المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5،

1420هـ-1999م.

[55] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: 606هـ) **مفاتيح الغيب**

(**التفسير الكبير**)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ. البخاري، محمد بن

إسماعيل أبو عبد الله (ت: 256هـ).

[56] الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: 502هـ) **المفردات في غريب القرآن**،

تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ.

[57] الراغب، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة

طنطا، ط1، 1420هـ-1999م.

[58] رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي

خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ) **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، 1990م.

[59] الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي، **أساليب بلاغية**، وكالة المطبوعات -

الكويت، ط1، 1980م.

[60] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق**

غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.

[61] الزمكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري (ت: 651هـ) **البرهان**

الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني - بغداد،

ط1، 1974.

[62] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير**

كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

[63] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ) **بحر العلوم**.

[64] السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي

ثم الشافعي (ت: 489هـ) تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم،

دار الوطن، الرياض -السعودية، ط1، 1418هـ-1997م.

[65] السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ) الدر

المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

[66] الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ) تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم.

[67] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ) فتح القدير، دار ابن

كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

[68] الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة،

ط1، 1417هـ-1997م.

[69] الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت -لبنان، ط7،

1402هـ-1981م.

[70] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ) جامع

البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

[71] طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع، الفجالة -القاهرة، ط1.

[72] العاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي (ت: 1398هـ) بيان المعاني،

مطبعة الترقى -دمشق، ط1، 1382هـ-1965م.

[73] عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية،

1364هـ.

- [74] عبد الواحد، أبو إسلام صالح بن طه، **مداخل الشيطان على الإنسان**، مكتبة الغرباء.
- [75] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ) **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة - بيروت.
- [76] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ) **كتاب العين**، المحقق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- [77] الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- [78] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
- [79] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس (ت: 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية - بيروت.
- [80] القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت: 1014هـ) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ-2002م.
- [81] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ) **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1418هـ.
- [82] قدح، محمود بن عبد الرحمن، **موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة والعشرون - العدد (107)، (1418-1419هـ).

[83] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: 671هـ)

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

[84] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)

تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3.

[85] القطان، إبراهيم (ت: 1404هـ) تيسير التفسير.

[86] القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري

(ت: 1307هـ) فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة

العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412هـ - 1992م.

[87] الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني (ت: 986هـ) مجمع

بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3،

1387هـ - 1967م.

[88] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 94هـ) الكليات، تحقيق:

عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

[89] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات

أهل السنة) تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ -

2005م.

[90] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)

تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب

العلمية - بيروت / لبنان.

[91] المحاسبي، الحارث بن أسد، أبو عبد الله (ت: 243هـ)، آداب النفوس، تحقيق: عبد القادر

أحمد عطا، دار الجيل - بيروت - لبنان.

[92] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ) تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م.

[93] مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق:

محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[94] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

[95] المعتق، عواد بن عبد الله، حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، الناشر: الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 34 - العدد 115، 1422هـ/2002م.

[96] مكي، بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي

المالكي (ت: 437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل

من فنون علومه، تحقيق: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م.

[97] المناوي، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: 1031هـ) التوقيف على

مهمات التعاريف، عالم الكتب عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.

[98] ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية للأساليب البلاغية، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر - بيروت، ط1. 1984.

[99] نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

-السعودية، ط2، 1430هـ-2009م.

[100] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ) تفسير النسفي

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تحقيق: يوسف علي بديوي ومحبي الدين ديب مستو، دار الكلم

الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.

[101] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم

بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط2، 1392.

[102] الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهرى، أبو منصور (ت: 370هـ) تهذيب اللغة، المحقق:

محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1، 2001م.

[103] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: 468هـ) الوجيز في

تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت،

ط1، 1415هـ.



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**EVIL AND HOW TO ESCAPE IT IN THE
HOLY QURA'N
(AN ANALATICAL AND DESCRIPTIVE
STUDY)**

By
Mohammad Abdelnaser Hasan Souman

Supervisors
Dr. Muhsen Sameeh Alkhaldi

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Jurisprudence and Legislation, Faculty of Graduate Studies, An-
Najah National University, Nablus, Palestine.**

2022

EVIL AND HOW TO ESCAPE IT IN THE HOLY QURA'N
(AN ANALITICAL AND DESCRIPTIVE STUDY)

By
Mohammad Abdelnaser Hasan Souman
Supervised by
Dr. Muhsen Sameeh Alkhaldi

Abstract

This study considers the topic of evil and how to survive it according to the Holy Qur'an. It is a significantly important topic for it warns Muslims not to choose the way of sins and loss (evil) and rather go through the right path (the way of good). Recognizing evil and its' sources and methods helps Muslims to be guided to the ways of protection through which they survive and be safe from every badness.

In his research, the researcher follows several research approaches such as the descriptive, deductive and inductive approaches. The researcher divided his research into an introduction, six chapters, a conclusion and indexes according to the requirements and origins of scientific research.

The study indicates the linguistic and terminological meaning of evil, in addition to some notes and signs through observing the sequence of mentioning the word evil in the Holy Qur'an together with other related words.

The study showed the sources of evil and its' types, then it considered the way through which Muslims can survive evil by indicating the saver and rescuer methods Such as the knowledge of evil and its truth, and believing in Allah Almighty.

The study touches upon the impact of evil on the individual and society, by mentioning two models of evil, and showing the destiny of evil people in life and in the afterlife.

The conclusion included the most important findings and recommendations reached through this research, the most important of which is that unawareness of evil makes people vulnerable to get in trouble. However, being aware of evil help Muslims to survive it. Disbelief in God and polytheism are among the greatest evils one may fall into, while believing in God and seeking protection from Him is one of the most important paths to Muslims' survival.